وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي بونعامة – خميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة تاريخ

الثورة الجزائرية من خلال الكتابات الأجنبية

مؤلفات فرانز فانون 1925-1961م

– نموذجا–

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص : تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م

إعداد الطالبتين:
– جيهان عيسي
– نجية لعيداني

إشراف الأستاذ:
– حبيب كدومة

السنة الميلادية : 2019/2018 م

السنة الهجرية: 1440/1439 هـ

شكر وعرفـان

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذه المذكرة
ولا يفوتنا في هذا المقام أن نوجه شكرنا
وامتنانا للأستاذ المشرف "حبيب قادومة"
الذي حمل على عاتقه مهمة الإشراف
على هذا البحث.
كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساندننا
بالفعل والكلمة خاصة عمال المكتبات
الجامعية والبلدية وكل من قدم لنا يد المساعدة
بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

الاهداء :

نحمد الله تعالى الذي قدرنا
هذا العلم، فالعلم لا يتم إلا بالعمل
أهدي ثمرة جهدي:
الى روح أبي وأختي سعيدة الطاهرتين ... رحمهم الله
إلى رمز الحب وبلسم الشفاء التي حرصت على تعليمي بصبرها
وتضحياتها "أمي الحبيبة..."
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى من أسميه
أبي أخي الغالي لوطفي..."
إلى من دعمني في مشواري الدراسي "زوجي..."
إلى من تقاسمت معي عناء إتمام هذه المذكرة أختي وصديقتي
"جيهان..."
إلى الذين بذلوا جهدهم وعطاءهم، أساتذتي الكرام...
إلى كل من أعانني على إتمام هذا العمل...
إلى كل من وسعتهم ذاكرتي
ولم تسعهم مذكرتي...

الاهداء:

اللهم لك الحمد كثيرا طيبا مباركا فيه،
و لك الحمد على ما أنعمت علي
من قوة وصبر لإنجاز هذا العمل.
إلى ملاكي في الحياة، بسمة حياتي،
وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي "أمي..."
إلى ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة
"والدي..."
إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي
"إخوتي..."
إلى من دعمني في فترة إنجاز المذكرة "زوجي..."
إلى رفيقة دربي وزميلتي في إنجاز هذا العمل أختي "نجية..."
إلى كل من كان له دور في وصولي
إلى هذه المرحلة "أساتذتي
وأصدقائي "

جيهان

Abstract:

Fanon is one of those who are considered important figures who played a major role in the revolution and reveal the reality of colonialism.

His history filled with intellectual contributions in revolutionary packaging. Where he was able to find his place in the Algerian revolution and among the fighters against repression and colonialism, the revolution influenced his thought and made his jump from the individual rebellion against the Nigro-ism in his writings to the national revolution that we recorded about.

He belonged not only to the third world, but was above all one the sons of the glorious Algerian revolution, he was a man with many faces that was difficult to reduce in a stereotypical fashion.

ملخص :

فانون هو واحد من أولائك الذين يعتبرون من الشخصيات المهمة، حيث لعب دور رئيسي في الثورة الجزائرية وكشف حقيقة الاستعمار، إن تاريخه كان حافلا بالمشاركات الفكرية في التعبئة الثورية، حيث استطاع فانون أن يجد مكانه وسط الثورة الجزائرية ووسط المناضلين ضد القمع والاستعمار.

لقد أثرت الثورة الجزائرية في فكره وجعلته يقفز من التمرد الفردي على الزنوجية في كتاباته إلى القيام بثورة وطنية قومية والتي سجلناها في إسهاماته حول الثورة الجزائرية.

إن فانون لم يكن ينتمي إلى العالم الثالث فحسب، بل كان وقبل كل شيء واحد من أبناء الثورة الجزائرية المجيدة، كان رجلا مناضلا بأوجه عديدة من الصعب اختزالها في صورة نمطية.

قـــــائمة ضبط المختصرات:

✓ ***الرموز بالعربية:***

الرمز	دلالته
تح	تحقيق.
تر	ترجمة.
تق	تقديم.
مر	مراجعة.
ج	جزء.
ط	طبعة.
ع	عدد.
ص	صفحة.
د. ط	دون طبعة.
د.س	دون سنة.
ط.خ	طبعة خاصة.
د.ع	دون عدد.
د. ص	دون صفحة.
د	دكتور.
ن. ت	للنشر والتوزيع.
ج.ت.و	جبهة التحرير الوطني.
جيش.ت.و	جيش التحرير الوطني.
ح.ع.2	الحرب العالمية الثانية.
م.و.ث	المجلس الوطني الثوري.
ح.إ.ح. د	حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية.
ج. ف	الجيش الفرنسي.

✓ ***الرموز بالفرنسية:***

OPCIT	**OPCIT**
PAGE	**P**
PARTI COMMINICE FRANCAIS	**P C F**

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الثورة الجزائرية من أهم الثورات الكبرى التي شهدها العالم خلال القرن العشرين، ذلك لما حققته من انتصارات على المستوى الداخلي والخارجي، وهذه الانتصارات أتت من شعب مناضل حر أراد لبلده الحبيبة أن لا تدنس بأقدام نجسة، أقدام جاءت فقط من أجل الدمار والخراب، شعب انتفض ثائر من الحدود إلى الحدود، قدموا تضحيات جسام لتحرير أغلى ما في الوجود، وأظهروا للعالم أنهم أبناء الجزائر.

ولعلّ أبزر ما حصل في الثورة الجزائرية، مشاركة الأجانب فيها، حين وقفوا جنبا إلى جنب في وجه فرنسا ليعلنوا أنهم متفقون على منح الشعب الجزائري حريته، وإيمانهم بقضية الجزائر المقدسة، أبطال لبوا نداء الثورة، وضحوا بأرواحهم لأجلها، لعشقهم "للحرية"، ولحبهم "للكرامة"، تلاحموا مع إخوانهم الجزائريين، وتأكدوا أن للجزائر حق يجب الدفاع عنه، ومن أبرز الشخصيات التي آمنت بمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها "فرانز فانون"، الذي ما لبث وجوده في الجزائر، وسرعان ما التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني والذي سخر روحه وقلمه دفاعا عن مصالحها، والتعريف بقضيتها.

أهمية الموضوع:

ولإبراز أهمية هذا الموضوع تم تسليط الضوء على "مؤلفات فرانز فانون في الثورة الجزائرية"، والتي تدور جل مواضيعها حول الظلم الممارس على الجزائريين والعنصرية، فأراد فانون من خلال هذه الكتابات وإبراز شخصيته الثورية، والخروج من جو مزيف من العنصرية، التي أرهقت كاهل الدولة المستعمرة.

دوافع اختيار الموضوع:

ومن الطبيعي أن تكون للباحث في اختياره للموضوع أسباب ذاتية وموضوعية للإجراء دراسة موضوع ما يود معالجته والبحث فيه.

الأسباب الذاتية:

_ رغبتنا الشخصية في دراسة موضوع في تاريخ الثورة الجزائرية وفي إطار تخصصنا "تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية".

_ الميول الشخصي في التعرف على "فرانز فانون" كشخص ومناضل.

_ التشجيع الكبير والمحفز الذي تلقيناه من أستاذنا المشرف –حبيب قادومة- والخوض في المواضيع التي لم تأخذ حقها الكافي في الدراسات والأبحاث الأكاديمية.

_ التعرف على أهم وأبرز الشخصيات الفرنسية التي ساندت الثورة الجزائرية منهم: "فرانز فانون".

_ الأسباب الموضوعية:

_ قلة الدراسات المتخصصة حول إسهامات "فرانز فانون" في الثورة الجزائرية من خلال مؤلفاته.

_ محاولة تدعيم وإثراء حقل الدراسات التاريخية.

_ معرفة وتحليل أهم المحطات التاريخية التي مر بها "فرانز فانون" من خلال تجربته النضالية في الثورة الجزائرية.

_ تسليط الضوء على مختلف المواضيع التي حاول فيها "فرانز" التعريف بالقضية الجزائرية في مؤلفاته وتدويلها.

الإطار الزماني والمكاني:

إن فترة المختارة في دراستنا لهذا الموضوع حصرناها من الفترة التي تشمل ميلاد "فرانز فانون" 1926م بالمارتينيك إلى غاية وفاته والتي كان متواجد فيها بالجزائر وفي قواعدها الخلفية بين تونس والمغرب والبلدان الإفريقية 1961.

الإشكالية:

إن موضوع " الثورة الجزائرية من خلال الكتابات الأجنبية مؤلفات فرانز فانون 1925/1961م – نموذجا- "،يطرح علينا إشكالية مركزية مفادها : *ما محل قضية التحرر الجزائرية في فكر ومؤلفات فرانز فانون؟*.

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر قمنا بطرح تساؤلات فرعية في صلب الموضوع:

- من هو فرانز فانون؟.
- ما مدى تأثير البيئة التي ترعرع فانون فيها على شخصيته وفكره؟.
- فيما تمثل موقفه من الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟.
- وما مدى تأثير مؤلفاته على الرأي العام الفرنسي؟.

وللإجابة عن إشكالية دراستنا اتبعنا تصميما منهجيا تضمن ما يلي: مقدمة وشرحنا فيها أهمية الموضوع ودوافعه وإشكالية...إلخ، ثم فصلا تمهيديا تحت عنوان "فرانز فانون النشأة والتكوين"، تناولنا فيه: مولده وأصوله، دراسته وتكوينه وكذلك أهم مؤلفاته، ثم وفاته، وأتبعناه بفصل أول الحامل لعنوان:" فرانز فانون ونضاله

الثوري"، وجاء فيه: تعينه في مستشفى البليدة، ثم انضمامه للثورة الجزائرية، وكذا جهوده في تشكيل الجبهة الجنوبية، وأتبعناه بفصل ثاني الموسوم ب "فانون كاتب ومؤرخ الثورة الجزائرية" وجاء في هذا الفصل: كتابه العام الخامس للثورة الجزائرية وكذا مؤلفه لأجل الثورة الإفريقية، ثم آخر مؤلفاته كتابه معذبو الأرض، وختمنا دراستنا بخاتمة تضمنت نتائج الدراسة وآفاق البحث، وألحقناها بملاحق تخدم الموضوع.

منهج الدراسة:

إن طبيعة الدراسة ومادتها مكنتنا من توظيف كل من:

_ **المنهج التاريخي الوثائقي:** والذي وظفناه في تتبعنا لحياة "فرانز فانون" ونشأته ومسار شخصيته.

_ **المنهج التحليلي:** والذي وظفناه في تحليل مؤلفات "فانون" والذي يسمح لنا بالوقوف على فكره ومواقفه التي وثقها في مؤلفاته.

الدراسات السابقة:

تجدر الإشارة إلى أن موضوع "" الثورة الجزائرية من خلال الكتابات الأجنبية مؤلفات فرانز فانون 1961/1925م – نموذجا- " مهم جدا، وقد حضي باهتمام من طرف الباحثين ونجد دراسات أخرى حول شخصية "فرانز فانون" أهمها: كتاب لمحمد الميلي الذي عنونه ب فرانز فانون والثورة الجزائرية، شرح فيه الميلي شخصية فرانز فانون المولد والنشأة والتكوين، وكذلك نضاله الثوري في ج ت و.

إضافة إلى كتاب عبد المجيد حفيري، الموسوم ب: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، تطرق فيه إلى أهم مؤلفات فانون وما مدى علاقته بالثورة الجزائرية.

ودراسة أعدتها الطالبة رزيقة برابيع تحت عنون: " العرق والثقافة في كتابات فرانز فانون" والتي نالت بها شهادة ماجستير في جامعة تيزي وزو، وتطرقت فيها إلى دراسة مؤلفات فانون من الناحية الأدبية، ولعل ما يهمنا في هذه الدراسة تناولها لشخصية فانون والتعريف به (من الناحية التاريخية).

بيبليوغرافية الدراسة:

ولإعداد هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع،

بداية ب **المصادر**:

- فرانز فانون، معذبو الأرض، والذي تطرق فيه إلى استعراض بعض القضايا التي أثرت في فكره نتيجة احتكاكه بالثورة الجزائرية.

- فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، والذي تحدث فيه فانون عن جرائم الاستعمار ومحاولته لمسح ذاكرة الجزائريين وتجريدهم من تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم، والقضاء على الهوية الوطنية.
- ديفيد كوت، فرانز فانون سيرة فكرية، والذي شرح فيه أهم المواضيع التي طرحها فرانز فانون فيؤ قضية الثورة الجزائرية دراسة وتحليلا، وبمنظوره الفلسفي.

المراجع:

- عبد القادر بن عراب، فرانز فانون رجل القطيعة، تناول فيه حياة فرانز فانون ومسيرته النضالية.
- عمر بوضربة،تطور النشاط الديبلوماسي للثورة الجزائرية 1954_1960، والذي تناول فيه عمل فانون الديبلوماسي ونشاطه في الحكومة الجزائرية المؤقتة.

الصعوبات:

وككل بحث لا يخلوا من الصعوبات في إنجازه، ومن بين الصعوبات فيمل يتعلق بالمادة البحثية وبشكل أخص:

صعوبة الإلمام بجزئيات الموضوع لنقص المادة البحثية التي أولت عناية بشخصية فرانز فانون.

كذلك استخدامنا للجرائد الإلكترونية، اصطدمنا بعدم وجود أعداد بعض العناوين، ونقصان أعداد أخرى، مما اضطررنا إلى بذل جهد للربط بين الأفكار وتحليلها واستخلاص النتائج منها.

صعوبة الترجمة لبعض الكتب باللغة الأجنبية وقلة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع دراستنا.

صعوبة التنقل لبعض الولايات، وكذا عدم توفر مكتباتها على الكتب التي نحتاجها.

وكذلك رفض أستاذ من المدرسة العليا للأساتذة أن يعيرنا أحد المؤلفات التي كنا في حاجة ماسة إليها فسامحه الله.

وايضا من بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء اعدادنا لهذه الدراسة صعوبة الموازة بين الفصول وذلك لاحتواء الفصل الاخير والذي هو العنصو المهم في بحثنا على المادة البحثية والتي كان لابد من التطرق إليها فيما يخص كتابات فرانز فانون في الثورة الجزائرية.

إن ما مرت به بلادنا من أوضاع سياسية وبشكل أساسي الحراك الشعبي جعلنا بين المطرقة والسندان، فتارة تنازعنا الرغبة في المشاركة في الحراك وتارة تنادينا المذكرة بالإتمام، ولله الحمد وفقنا لإتمام هذه المذكرة راجين ومتمنين لبلادنا كل الخيروالإستقرار.

الفصل التمهيدي:

فرانز فانون "النشأة والتكوين" (1925م – 1961م)

المبحث الاول : مولده و نشأته. (1925م – 1945م)

المبحث الثاني: تكوينه و دراسته واهم مؤلفاته.(1936م – 1961م)

المبحث الثالث: مرضه ووفاته. (1960م – 1961م)

الفصل التمهيدي:

فرانز فانون: النشأة والتكوين

(1925م -1961م)

لقد حظيت شخصية "فرانز فانون" باهتمام استثنائي من جانب المفكرين والمؤرخين والكتاب من تيارات عالمية مختلفة، عرفت بمناهضتها للاستعمار، ولا شك بأن استحضار شخصية عالمية عرفت بفكرها النير وكفاحها من أجل الحرية والكرامة الإنسانية، كالمناضل الإفريقي " فرانز فانون "، الذي يعتبر رمزا للنضال من اجل العدالة والتحرر الوطني ومناهضة التمييز العنصري، فقد أسال حبرا كثيرا حتى أصبح فكر هذا الرجل يدرس في كبريات الجامعات والمعاهد العالمية.

المبحث الأول: مولده ونشأته (1925-1945م):

ولد فرانز فانون يوم 20 جويلية 1925، في جزر المارتنيك[1]، تماما مثل سيزر[2]، تعود أصوله، إلى جذور افريقية عميقة[3]، وهو حفيد أولائك الرقيق الذين حمّلوا منذ قرون، إلى جزر الأنتيل[4]. ظل أبناء الأفارقة الذين استقروا بالجزيرة يعانون من الاضطهاد ويقومون من حين إلى آخر بثورات تقمع بشدة، ومع قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة، وظهور نظرية الاندماجية توقف ذلك التطور، وراح السكان يعلمون بالمساواة المطلقة مع الأوروبيين؛ وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، التي ساهم فيها سكان المارتيك إلى جانب سكان جميع المستعمرات الفرنسية، اتخذت بعض التدابير تهدف إلى إيجاد تقارب سطحي بين وضعية سكان المارتيك وسكان الوطن الأم، وقد أدى ذلك بالإضافة إلى محاولة النخبة المارتنيكية التنكر لماضيها وزنوجيتها إلى عرقلة الكفاح الشعبي[5].

---

[1] "المراتنيك" : إقليم فرنسي يقع في بحر الكاريبي، يحده شرقا المحيط الأطلسي يفصله عن جزيرة دومينيك حوالي 30 كلم، تبلغ مساحتها حوالي ألف و مائة كيلومتر مربع، ويبعد عن الوطن الأم بمسافة سبعة ألاف كيلومتر مربع، استعمرت سنة 1835م، (للمزيد ينظر إلى : محمد العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، دط، المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر، الجزائر 1995، ص ص134-135).

[2] "إيميه سيزر": (1913-2008): شاعر و سياسي، من جزر المارتيك، وصل باريس عام 1931م في منحة دراسية وفيها عاش كطالب إفريقي شاب، وهناك فهم بشكل كامل ضحايا العزل الثقافي في المجتمعات الاستعمارية، أسس في سبتمبر 1934م مع "ليوبولد سنغور" منظمة صحيفة الطالب الأسود، والتي تبنى من خلالها مجموعة من المثقفين الأفارقة مبدأ الزنجية كرد فعل على القمع الفرنسي. عمل سيزر عمدة لفور دي فرانس، ونائبا للمارتنيك، ثم فيما بعد رئيسا للمجلس الإقليمي للمارتنيك. أصدر العديد من الكتب أهمها: العبودية والاستعمار، وخطاب الاستعمار 1950، ..(للمزيد ينظر إلى: ديفيد كوت،" فرانز فانون" (سيرة فكرية)، تر: عدنان كيالي، تق: د- فوزي سليسلي، ط1، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، يناير 2017، ص ص، 31-32).

[3] عبد القادر بن عرّاب، "فرانز فانون، رجل القطيعة" تر: عبد السلام يخلف، ط3، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص17.

[4] "الانتيل": منطقة شملتها السيطرة الفرنسية منذ القرن 17. (للمزيد ينظر: محمد الميلي، فرانز فانون والثورة الجزائرية، دط، دار الكتاب العربي، بيروت دس، ص 10).

[5] محمد الميلي، المصدرالسابق، ص 20.

أما فيما يخص اللغة الرسمية في المارتنيك فهي اللغة الفرنسية، مع أن الكاريولية[1] لغة اللسان الأم في المنطقة، و يتكلمها التجار والمغامرون في الكاريبي الشرقي[2].

ولد "فرانز فانون" في مدينة "فوردي فرانس"، من أسرة تتكون من ثمانية أولاد وبنات[3]، وكان الخامس بين إخوته[4].

كان أبوه موصفا بالجمارك وكان منصب الموظف في بلد كالمارتنيك، يعتبر وضعا إمتيازيا بالنسبة للعامل الزراعي[5].

تميزت فترة شبابه بالاضطراب مثل ما كانت حالة الشباب من جيله الذين تأثروا بعواقب الحرب العالمية الثانية في جزر المارتنيك[6].

إلتحق فانون بالقوات الفرنسية الحرة بجزيرة "دومينيكا" المجاورة بتاريخ 13 جويلية 1943م ويوم 12 مارس 1944م، بعد إرجاعه إلى وطنه انظم إلى الفوج الأنتيلي رقم 05 الذي تم تكوينه لتحرير فرنسا من النازية، التحق هذا الفوج بمدينة الرباط (المغرب يوم 30 مارس من نفس العام، ثم انتقل إلى شرشال وبجاية قبل الإنزال بتولون في 29 جوان، أصيب فانون بجروح خلال عبور نهر الراين يوم 15 نوفمبر 1944م و تلقى إثر ذلك تكريما من العقيد "سالان". كان يتواجد في مدينة رون عند تحرير فرنسا[7].

وفي فترة مشاركته في الحرب العالمية الثانية، ولعدة سنوات حمل فانون الامتعاص لوالده لأنه لا يوثق علاقته مع حياة الأقارب، وهذا الامتعاص يمكن تلمسه في مقطع من

---

[1] "الكاريولية": هي مزيج من الفرنسية وعدة لغات إفريقية وأوروبية (للمزيد ينظرإلى: صالح الرزوق، "فرانز فانون والاستعمار سيكولوجيا الاضطهاد"، شهادات و مذكرات وشخصيات، صحيفة المثقف، دع، كانون الاول (ديسمبر) 2011، ص 02).

[2] نفسه، ص 02.

[3] عبد الحميد حيفري، "فرانز فانون، بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته"، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، ص15.

[4] عصام بن شيخ، "فرانز فانون صاحب رائعة البشرة السوداء، والأقنعة البيضاء، صيحة ثائر زنجي مناهض للاستعمار من أرض الجزائر"، دع، جانفي 2001، د ص.

[5] محمد الميلي، المصدرا لسابق، ص 12.

[6] فرانز فانون،"معذبو الأرض"، تق: ك، شولي، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2006، ص 07.

[7] رشيد خطاب، " التحريرية الجزائرية 1954- الخاوة والرّفاق، قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب 1962)، تر: محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي، دط، دار الخطاب، الجزائر 2013، ص 213.

رسالة كتبها فانون لأبيه حين كان يخدم في الجيش الفرنسي خلال ح ع 2: «... لو نحن أبناءك أصبحنا شيئا ذا بال فإن الوالدة هي وحدها من تستحق الثناء. وأستطيع أن أرى التعبير الذي سينطبع على وجهك وأنت تقرأ هذه السطور، ولكنها الحقيقة. انظر لنفسك، انظر للسنوات التي انصرمت؛عد لروحك وتحل بالجرأة لتقول – لقد هجرتكم»[1].

وبعد هذه المشاركة في الحرب عاد إلى المارتنيك يوم 12 سبتمبر 1945م، أين تم إنهاء مدة تجنيده بتاريخ 13 جانفي 1946م، حطمت مشاركته هذه أوهامه فيما يخص "الوطن الأم". وأظهرت رسالة وجهها فانون إلى والديه في شهر أفريل 1945م، تم العثور عليها بعد وفاة والدته سنة 1980م، حيث كتب: « كنت مخطأ!، لا شيء هنا، لاشيء يبرر هذا القرار المفاجئ الذي يجعلني أدافع عن مصالح المزارع عندما لا يهتم هو بها». تحصل بعدها على منحة دراسية بصفته محارب سابق، وقرر دراسة الطب في جامعة ليون[2].

[1] صالح صالح الرزوق، المرجع السابق، ص03.

[2] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 213.

المبحث الثاني: تكوينه و دراسته و أهم مؤلفاته1936-1961م:

أولا: تكوينه و دراسته (1936-1952):

تعتبر الظروف الميسورة لعائلة فانون، بالرغم من أصولها الإفريقية، فقد ساعدت على تعليمه وتدريسه، حيث تلقى تعليمه بمسقط رأسه[1]. وكان ذلك في سنة 1936م، حيث أرسل فانون من قبل والده إلى مدرسة خاصة بالأطفال السود في المارتنيك، وهو في سن الحادي عشر(11 سنة)[2].

واصل فانون دراسته الابتدائية، وجزء من دراسته الثانوية في وضع كانت فيه الجزيرة مستعمرة و مسيطرة من طرف المستعمرين البيض، حيث كانوا يحتفظون بمزارعهم ويحتكرون أرباح صناعة السكر، ويتزوجون فيما بينهم، ويسيطرون على البنوك، ومعظم التجارة. وهذا كان حال الاستعمار الفرنسي في كل البلدان المستعمرة، لكن رغم وجود ألوان مختلفة للعنصرية بين المستعمر الأبيض والمستعمر الأسود، إلا أنه نشأت ما يمكن أن يسمى " بورجوازية زنجية" كانت تبحث عن الاندماج والذوبان أكثر مما تفكر في الاستقلال الوطني، إلى هذه الفئة تنتمي أسرة فانون. وهذا ما يفسر دخوله المدرسة الفرنسية ومواصلة دراسته وحصوله على درجة الدكتوراه في علم النفس، كان ميسور الحال اقتصاديا وكان ينتمي إلى الطبقة البورجوازية[3].

وأثناء ح ع 2، التحق بالقوى الفرنسية الحرة مثل معظم المثقفين الفرنسيين الذين انضموا إلى هذه الحركة، جرح فانون في إحدى المعارك الحربية أثناء هذه المشاركة لتحرير فرنسا وهناك اكتشف حقيقة بنية المجتمع الأوروبي عامة، والمجتمع الفرنسي خاصة، حيث

---

[1] كديدة محمد مبارك، " دور فرانز فانون في إنشاء الجبهة الجنوبية، المنطقة الجنوبية الصحراوية في الثورة التحريرية الجزائرية (1960-1962)"، " مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 27، المركز الجامعي تمنغاست، الجزائر ديسمبر 2016، ص662.

[2] Wiliam strikeland, frantz fanon: his life and work, a fo American studies faculty publication series, January 1979, p67.

[3] برابيع رزيقة، "العرق والثقافة في كتابات فرانز فانون، مقاربة نقدية ثقافية"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة والأدب العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015-2016، ص6.

لاحظ بأن الرجل الأسود لا يعامل مثل الأبيض الذي في الجيش الفرنسي، وأدرك حقيقة وجوده كأسود اللون في المجتمع الأبيض الذي يطلق عليه اسم "نيقرو""Negro" [1].

وفي عام 1947 سافر إلى فرنسا بعد حصوله على منح دراسية، وفي مدينة ليون عاش حياة طالب نشيط ودون أن يهمل دراسته في الطب[2]. وهناك أدرك واكتشف بأنه لا يمكن تحقيق ما يسمى بالمساواة بين الجنسيين الأبيض والأسود، فالصراع قائم بينهما «إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»[3]. ففهم فانون كذلك أن الزنجي وبصرف النظر عن مستواه العلمي والثقافي هو في نظر الفرنسي زنجي قبل أي شيء آخر، ومن ثم فهو ذو مرتبة متدنية.

« عندما أتحدث إلى من يحبونني يقولون : إنهم يحبونني على الرغم من لوني، وحينما أتحدث إلى من يكرهونني، يعتذرون بأنهم لا يكرهوني بسبب لوني وفي كلتا الحالتين أجد نفسي حبيس الحلقة اللعينة إياها»[4].

ويعتقد فانون أن مركب النقص الذي يعانيه الزنجي يعود بالدرجة الأولى إلى جذور اقتصادية، ولكن الرجل الأسود حوله بمرور الزمن إلى صفة ذاتية تتصل بلون البشرة[5]. كما درس فانون الفلسفة وبرع في تحاليل العديد من الظواهر الإنسانية التي قابلته باعتباره طبيبا مختصا في تفسير السلوك النفسي الإنساني[6].

وهذا ما جعله يراكم و يطور فكره دون أن ننسى مجموعة التناقضات التي لاحظها بين المثل والإشعارات « فرنسا الحضارة ». خاصة انه بات أكثر احتكاكا بهذا الوسط فقد كان شاهدا على ردة الفعل الفرنسية اتجاه الجزائريين، وما حصل من مجازر 08 ماي 1945م، ولربما لاحظ الفرق بين الأفكار المجردة والادعاءات المنمقة في بعض المنابر[7].

---

[1] عبد المجيد عمراني، "جان بول سارتر والثورة الجزائرية"، د ط، مكتبة مدبولي، باتنة، الجزائر دس، ص 68.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 08.

[3] عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص 68.

[4] ديفيد كوت، المصدر السابق، ص35.

[5] نفسه، ص73.

[6] عصام بن شيخ، المرجع السابق، دص.

[7] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، ص662.

وحول ما عايشه "فرانز فانون" خلال دراسته، يروي أن نظام الامتحان في جامعة "ليون" يقضي بان يدفع الطالب يده داخل سلة ليسحب منها إحدى أوراق الأسئلة معتمدا في ذلك على حظه، ولكن الأستاذ ترفق "بفانون" قائلا: "ماهو الموضوع الذي تريدني أن أسألك فيه؟"، إلا أن فانون سارع إلى دفع يديه بأنفه في السلة حسب العادة المتبعة[1].

كان فانون يشارك في المناقشات الفلسفية والسياسية، وكان كثير القراءة[2].

وفي عام 1951م، دافع عن أطروحته التي درسها في التحليل النفسي، كان المشرفون الأكاديميون قد رفضوا فكرة أطروحته هذه التي سماها تشخيص اجتماعي للاغتراب في إلا الأنتيل «جلد اسود»، ويصف « جلد اسود » تجربة السود المعاشة الذين ترتبط صورة أجسادهم بغياب القيمة الإنسانية في نظرة البيض العنصرية يقول بهذا الشأن: « في فرنسا اكتشفت سوادي، وخصائصي العرفية، وهناك عرفت أنني انحدر من طبول صغيرة، واكل لحوم البشر وتخلق روحي وعبادة الأوثان ونقائص عرفية، وسفن عبيد، وفوق هذا كله ...»[3].

وقد سماها "بالنظرة المحدقة العنصرية،" بصفتها هوية مقابلة للآخر الأبيض، والانتماء الذي يمكن أن يوسم به الشخص، منطلقا من تأكيد "فانون" هويته الفرنسية: « أنا فرنسي، و أنا مهتم بالثقافة الفرنسية، الحضارة الفرنسية، الشعب الفرنسي، ونحن نرفض أن نعتبر (دخلاء) إننا جزء لا يتجزأ من هذه الدراما الفرنسية المضطربة»[4].

إن دراسة "فانون" في مدرسة سيزار الذي علمته كيف يفتخر بزنوجيته، وكيف يطالب بحقوقه ويدافع عنها كفرد من خلال الدفاع عن حقوق الجماعة (أي حقوق الزنوج في المارتنيك)، وعلى رأسها مطالب المساواة مع البيض الفرنسيين الذين احتكروا كل شيء

---

[1] ديفيد كوت، المصدر نفسه، ص 37.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 08.

[3] علي قيصر، "فراز فانون – Frontz Fanon – فيلسوف المعذبون في الأرض من السيرة الذاتية"، مجلة الاستغراب، ع12، لبنان 2012 ص 239.

[4] احمد جاسم حسين، "فانون: المخيلة بعد – الكولونيالية–"، مجلة عمران، د ع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2013، ص 173.

وسيطروا على مختلف مناحي الحياة في الجزيرة الصغرى لصالحهم[1]. هذه المطالب كونت منه شخصية بارزة ذو مكانة وسط مجتمعه.

وفي عام 1952م، تزوج من فتاة ليونية (فرنسية) اسمها "جوزي" ورزق منها بولد اسمه " اوليفيه"، وقد تم تخصصه في الطب النفسي مع الدكتور « توسكيل »[2].

ومن الشهادات حول شخصية "فانون" نستشهد بما ذكره محمد الميلي: انه كان واضحا فيه الرجل المثقف ذو ثقافة عالية ... « وأدهشي ذلك من طبيب أخصائي في علم النفس، فقلت له: "إن من يسمعك تتحدث يتصور انك فيلسوف، وليس أما طبيب، ابتسم وقال لي : فعلا فقد درست الفلسفة و أنا مجازف فيها، وقد فكرت حينا من الزمن في مواصلة دراستي العليا بالفلسفة لكني فضلت ميدانا علميا أكثر التصاقا بمشاكل الحياة اليومية »[3].

ثانيا: أهم مؤلفات :

إن مسيرة "فرانر فانون"، يمثل سجلا حافلا من المشاركات الفكرية في التعبئة الثورية لطلائع المجتمعات المستضعفة الثائرة للتحرر من الاستعمار حيث استطاع هذا الرجل الزنجي، والمارتنيكي الفرنسي الأصل، أن يجد له مكانا وسط المناضلين ضد القمع والاستعمار، التي كانت تمارسه قوى الاستعمار القديم ضد الشعوب المستعمرة على مدى عقود طويلة، ورغم مشاركته القصيرة في الكفاح المسلح ضمن صفوف جيش التحرير الوطني (FLN) في الجزائر 1957م و 1961م، غير أن الرجل ترك بصمة واضحة في تاريخ الثورة الجزائرية تحديدا، وتاريخ حركات التحرر العالمية عامة، وهو لا يزال حاضرا بفكره حتى الآن وسط مفكري الحركة التحررية العالمية المعاصرة غير أن الكثيرين من لا يعرفون 'فانون' تمام، ويجهلون مسار حياته الحافل بالكثير من الأحداث الهامة والمثيرة[4].

---

[1] عصام بن شيخ المرجع السابق، د ص.

[2] "توسكيل": هو طبيب مجدد من الجمهوريين الإسبان المقيمين في فرنسا، والذي ترك أسلوبه في العلاج أعمق الأثر في "فانون" (للمزيد ينظر: فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص08).

[3] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 11.

[4] عصام بن شيخ، المرجع السابق، د ص.

والواقع أن الأضواء كانت قد سلطت على "فانون" قبل اندماجه في الثورة الجزائرية، مباشرة بعد تأليفه كتاب « بشرة سوداء، أقنعة بيضاء »، عام 1952، وكان لهذا الكتاب ردود فعل كثيرة في الأوساط الغربية التي امتلأت انفعالا و شحنة وأبت إلا أن تصرح دون هوادة أن « فانون لها »، ولا يمكنه بذلك أن يثور عليها[1].

ويصر "فانون" في كتابه « جلد اسود » على انه لم يأت ليعلن « حقائق » أزلية، ويستمد هذا التحليل جذوره من الراهن: « يجب النظر في كل مشكلة إنسانية من زاوية الزمن »[2].

كان لدى "فانون" شعور كبير بالانتماء للأفارقة، بسبب لون البشرة السوداء، حيث كان يحس بأنه جزء من النضال الإفريقي الكبير ضد الاحتلال الفرنسي المتوسع في القارة الإفريقية آنذاك، كما قدم فانون إلى جانب « جلد أسود، وأقنعة بيضاء »، العديد من المقالات التحليلية دراسة لظاهرة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية[3].

إضافة إلى ذلك حقق فيما بين 1952م و 1961م تطورا فكريا عاليا فقفز من التمرد إلى الزنوجية « جلد أسود، وأقنعة بيضاء »، إلى ثورة الجزائر التحريرية التي سجلها في كتابة « علم اجتماع الثورة »، أو« الثورة الجزائرية قي عامها الخامس »[4]. وللوصف الذي تضمنه هذا الكتاب أهمية بالغة في إبراز الملامح الرئيسية للشخصية الجزائرية وصورها العامة والخاصة لدى المواطنين عند الإحساس بالأزمة السياسية إبان الثورة المسلحة لينتقل إلى صرخات وجهها للعالم الثالث وسجلها في كتابه « معذبو الأرض »[5]، والذي كتب في مقدمة كتابه ما يلي: ... « في الجزائر المستقلة تلقت الأوساط المناضلة هذه الرسالة مباشرة حيث كانت تعتبر عن قيمهم وانشغالاتهم المقلقة...»[6].

---

[1] عبد الحميد حيفري، المرجع السابق، ص 19 - 20.

[2] علي قيصر، المرجع السابق، ص245.

[3] عصام بن شيخ، المرجع السابق، د ص.

[4] عبد الحميد حفيري، المرجع السابق، ص 20.

[5] نفسه، ص 05.

[6] عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص 68.

وقد ذكرت سليمة الكبير في كتابها "فرانز فانون"المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية"، أقوال بعض الكتاب والمفكرين حول كتابه « معذبو الأرض »: قال "جان دانيال": أن فانون نجح قبل أن يموت في تحقيق حلم حياته وهو إعطاء صوت ثوري للعالم الثالث... الذي عبر عنه بصورة غنية عميقة ورائعة... ويمكن أن نتبنى « الكادحون في الأرض » بنفس المصير الذي كان للصفحات العظيمة التي كتبها لسنين حول الدولة و الثورة.

وقال إيمي سيزر: (إن أعظم كتاب ظهر حتى الآن عن تصفية الاستعمار ومظاهرها ومشاكلها هو كتاب فانون "الكادحون على الأرض")[1].

وقد انهي فانون تأليف هذا الكتاب وهو على فراش الموت، مقاسيا كل ما سببه له سرطان الدم الذي أصيب به من الأم و أوجاع[2].

أما كتابه "لأجل الثورة الإفريقية"، الذي ظهر بعد وفاته فهو مجموعة مقالات كتبها فيما بين ذلك وظهر معظمها في صحيفة المجاهد[3].

والواقع أن فانون عانى معاناة شديدة من جراء هذا التفكير في وسيلة الرجل المثقف إلى النفاذ و التعمق داخل نفسية الجماهير العامة، وداخل ضمائر المثقفين كرجال مسؤولين عن توجيه الشعوب لبلوغ درجة أهلية للحياة الجادة العميقة. ومن هنا نجح فانون لأول مرة في اصطناع أسلوب جديد في كتاباته يخدم قضية الاتصال بالجماهير ولا يؤذي حقيقة موقفه كمثقف يحرص على أسلوبه العلمي في التكوين والنشأة[4].

وهكذا كرس "فانون" حياته لخدمة الحرية و الكرامة والعمل والخير، إلى آخر رمق من تلك الحياة قام بواجبه كمناضل يبذل كل ما في وسعه ويسلك جميع السبل لينقل تجربته الغنية إلى كل إخوانه في الجزائر، وإفريقيا وفي العالم الثالث بأكمله[5].

هكذا كانت أعمال "فانون" تندرج في المنطلق الذي يدعو للقطيعة مع الماضي، ماضي الاغتراب والاستعباد الذي تكبده السكان لزمن طويل. إضافة إلى ما يستطيع أن تكتشفه لنا

---

[1] برابيع رزيقة، المرجع السابق، ص 20.

[2] عبد الحميد حفيري، المرجع السابق، ص 20.

[3] محمد الميلي، المصدر السابق، ص45.

[4] عبد الحميد حفيري، المرجع السابق، ص 23 – 24.

[5] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 154.

أعماله على مستوى الفحص الطبي وقدرية المرض العقلي ودراسة الأشكال المؤدية للاغتراب، فان كتابات هذا الرجل الفذ كانت دوما بمثابة الصرخة. إنها صرخة ذاتية للتحرر من جرعة التحقير والموقف المتعجرف للرجل الأبيض التي تقف على كاهله كفرد. ويقول في ذلك: « ثم انه كل علينا مواجهة نظرة الرجل الأبيض. تملكنا ثقل لم نتعود عليه، كان العالم الحقيقي يتقاسم معنا شطرنا »[1].

من هنا يتضح لنا: أن فانون يعرف جيدا المجتمعات التي يكتب عنها، أما التحليل الذي يقوم به فيشير دوما إلى مرجعية في الواقع و يتميز دوما بالدقة، وله بعد بالغ الأهمية رسالته ما لها من حدود. فهو يحدد سلما من الأعمال التي تبدأ من استخراج الحساسيات الفردية وصولا إلى المجهود الجماعي للتخلص من الاغتراب والاستعمار وكل أشكال الهيمنة.

مزج فانون بين بحوثه واهتماماته الفكرية وبين عمله السياسي في الجزائر آنذاك التي كانت تعتبر بالنسبة إليه الأرض الأم لأنه فيها اكتشف مآسي الإنسانية خاضعة وآلامها الفظيعة.

تنبأ هذا الثائر المؤمن الصادق بمستقبل، لا يمكن أن يكون سوى أحسن من الحاضر المعيش شرط التخلص من ليل الاستعمار الطويل حسب مقولة فرحات عباس[2].

[1] عبد القادر بن عراب، المرجع السابق، ص 25.

[2] نفسه ، ص 31.

المبحث الثالث: مرضه ووفاته 1960-1961م:

كان فرانز فانون في الجبهة الجزائرية الغربية للقتال في وجدة، وبينما كان خارجا من الثكنة ومارا بإحدى طرق المدينة، رفقة جندي جزائري على متن سيارة جيب (Jeep) عسكرية، انفجرت قنبلة تحت السيارة، تسبب له بجراح بليغة في ظهره وأفقدته الوعي تماما[1]. وهذا الحادث الخطير كاد يودي بحياته، وذلك أثناء قيامه بمهامه في المغرب[2].

في ديسمبر 1960م، وخلال إقامته في تونس اكتشف ففانون إصابته بمرض اللوكيميا[3] (مرض سرطان الدم). وقد نقل إلى موسكو للعلاج لكن دون جدوى حيث عاد الى تونس دون باقة أمل في الشفاء[4]. وصار يعرف وهو في الخامسة والثلاثون (35) من عمره انه سيموت، وهذا ما دفع به أن يعود بين الثوار الجزائريين.

وفي أفريل 1961م، كان فانون مريضا ومحكوما من طرف الأطباء لحظة كتابة المعذبون في الأرض[5]. فكان لا يريد لأفكاره و تجربته أن يموتا معه، فاخذ يملي و يقدم عروضا و شروحا ونصوصا لزوجته التي كانت تطبعها على الآلة الكاتبة وهذه النصوص كانت تشكل كتاب "معذبو الأرض"[6]: « فهمت إذا إنني لن أعيش أكثر من ثلاث أو أربع سنوات فكان يجب على أن أسرع في أن أقول و افعل الحد الأقصى »[7].

وبعد هذه المعاناة مع مرض اللوكيميا الذي خر قواه، ثم نقل "فانون" من طرف جبهة التحرير الوطني إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأمل من الاستفادة من تطور الأبحاث العلمية هناك، ولكن لم يكن بإمكانهم فعل الكثير حيث بقي فانون يعاني من مرضه في

---

[1] عبد القادر حسين ياسين، "الدكتور فرانز فانون المفكر الأسود الذي مزق الأقنعة البيضاء"، مجلة النور، ع 26، 08 ديسمبر 2015، د ص.

[2] حازم خيري، "تهافت الآخر (مجموعة مقالات)، تعرية الثائر الأنسني فرانز فانون للآخرية"، دع، دنيا الوطن، 3 سبتمبر 2009، ص26.

[3] فرانز فانون، "معذبو الأرض"، تر : الدكتور سامي الدروبي، د. جمال الآتاسي، مرا: عبد القادر بوزيدة، د ط، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار،وحدة الطباعة، الرويبة، (الجزائر) 2010، ص 13.

[4] عبد الله مقلاتي،، موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر 2013، ص 292.

[5] عبد القادر جغلول، "فرانز فانون غموض إيديولوجية العالم الثالث"، تر: نور الدين زمام، سعيد سبعون، د ط، دار الناس 2013، 409.

[6] برابيع رزيقة، المرجع السابق، ص 13.

[7] عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص 409.

المستشفى إلى أن توفي في 06 ديسمبر 1961م، في واشنطن وعمره لا يتجاوز ستة و ثلاثون (36) عاما[1].

ولقد أعرب فرانز فانون في وصية مكتوبة، عن رغبته في أن يدفن في الجزائر مع الشهداء الذين كان يعتبرهم إخوانه في الكفاح، وتم نقل جثمانه من واشنطن إلى مطار العوينة بتونس العاصمة أين كرمه الوفد "الخارجي للحكومة المؤقتة" بأكمله وعلى رأسه "كريم بالقاسم"[2]، وزير الدفاع، وف باليوم الموالي تم تنظيم حفل تذكاري بمستشفى شارل نيكول أين اشتغل فانون لمدة طويلة، ثم توجيه موكب الجنازة نحو "غارديما" في الحدود الجزائرية التونسية[3]. ودخل سرا إلى منطقة الطارف (شرق الجزائر)[4].

دفن "فانون" في 12 ديسمبر 1961م في غابة سيفانا (بالقرب من قرية عين السلطان، 'التي تنتمي اليوم إلى تراب التونسي) إلى جانب أربعة شهداء من الثورة الجزائرية[5].

يقول احد أصدقاء فانون خلال الثورة التحريرية في لقاء حصري له : « ... في سنة 1961 جاءتنا أخبار بان السير "فرانز فانون" قد توفي، فجاءوا به إلى منطقة "ولآد طالع"، وقبل وفاته كان قد ترك وصية إن طلب فيها من الحكومة الجزائرية المؤقتة، أنه في حالة وفاته يدفن في أرض الجزائر (عين الكرمة[6])[7].

---

[1] عبد القادر حسين ياسين، المرجع السابق، ص26.

[2] "كريم بلقاسم" (1922 – 1970): المولود بقرية تيزرى عيسى الجبلية التابعة لبلدية ذراع الميزان، من عائلة ثرية في المنطقة، انخرط في حزب الشعب الجزائري عالم 1945م، الذي كان يدعو للاستقلال التام للجزائر عن فرنسا، شارك في اجتماع 22جوان 1954م، الذي قرر فيه إشعال الثورة، عارض النظام بن بلة ثم نظام هواري بو مدين عام 1965م، وجد مخنوقا من رقبته بربطة العنق في غرفته بفندق أنتركونتيننتال بفرانكفورت في ألمانيا (ينظر الى : بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م، إلى 1989م، ج2، د ط، دار المعرفة، الجزائر 2006، ص 208-218).

[3] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 218.

[4] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 292.

[5] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 218.

[6] عين الكرمة: تقع بلدية عين الكرمة بدائرة بوحجار بولاية الطارف في أقصى الشمال الشرقي للجزائر. و هي حدودية مع تونس (ينظر الى: متحف المجاهد في الطارف، ذاكرة ماحية بأكملها، الطارف 15 سبتمبر 2017).

[7] صادق سلطاني، صديق فرانز فانون من ولاية الطارف في تقرير عرض على قناة النهار الجزائرية (النشرة الإخبارية بتاريخ 2019/02/01، الساعة 12 و 40 دقيقة).

تولت قيادة ج.ت.و الجزائرية نقل جثمانه، وأقيمت له جنازة عسكرية ولف ضريحه بالعلم الجزائري[1].

(في الطارف)، وعلى بعد ستة مائة (600) متر داخل الأراضي الجزائرية تمت مراسم الدفن والوداع، ففي الثانية والنصف بعد الظهر يوم 12 ديسمبر رفع خمسة عشر (15) من الجنود جثمان "فرانز فانزن"، على نقالة مصنوعة من فروع الأشجار، ساروا بها في صمت مصيب عبر الأحراش قاصدين ارض الجزائر، عبروا الحدود التونسية، تحرسهم من فوق التلال قوات من ثوار ج.ت.و ولم يكن دلك العبور ممكنا دون اتصالات رسمية بجهات متعددة منها الحكومة التونسية واستحكامات عسكرية[2].

ومن ابرز ما قيل في مراسيم وداع الثائر فرانز فانون، الكلمة التأنيبية التي ألقاها احد قادة الثورة التحريرية، بحضور مبعوث خاص من الحكومة الأمريكية وممثل للهلال الأحمر في حضور "عمار أوصديق"[3] وآخرون على روح فرانز فانون، وإيمانه الراسخ بإمكانية التغيير الثوري،

وقدرة المضطهدين على التحرر من مضطهديهم وذلك بقوله: « ... لقد كان الأخ الراحل فانون مقاتلا مخلصا، تمرد ضد الاستعمار والعنصرية... حتى انه تعرض لحادث خطير كاد يودي بحياته، وذلك أثناء قيامه إحدى مهامه بالمغرب ومع ذلك استمر الراحل فانون بالعمل بقوة، وما إن بدا تدهور حالته الصحية واضحا للعيان، حتى ألحت القيادة بمطالبتها إياه بالتوقف عن نشاطه والاهتمام بصحته، لكنه دأب على الإجابة بأنه لن يتوقف عن

[1] عبد القادر حسين ياسين، المرجع السابق، د ص.

[2] حازم خيري، المرجع السابق، ص 26.

[3] "عمار أوصديق": من مواليد عام 1923م، بعين الحمام (تيزي وزو)، انخرط في حزب الشعب الجزائري وأصبح ممثلا لمنطقة القبائل في حركة إ.ح.د، ثم عضوا في اللجنة المركزية للحزب. اعتقل سنة 1948م، وأطلق سراحه سنة 1951م، انظم إلى ج.ت.و وفي سنة 1955م، عين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، شغل منصب كاتب دولة في التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة (1958 – 1960) (ينظر إلى: بشير بلاح، المرجع السابق، ص 282).

نشاطه طالما الجزائر لا تزال في كفاحها وأنه سيظل يؤدي بواجبه حتى توافيه المنية، وبالفعل أوفى الرجل بما وعد»[1].

لقد كانت لهذه الكلمات تأثير بالغ على مسامع كل من حضر في مراسم توديع "فانون"، وكانت كفيلة وكافية للتعريف بمكانة هذا الرجل الشهم، في قلوب المقهورين الذين طالما دافع عنهم وقاتل في صفوفهم، كفيلة كذلك بالتعريف بالشخص الذي آمن بقيمة الإنسان وسعى جاهدا لتثمينها عبر كفاح دائم ودءوب، ضد كل صور الطغيان والقهر.

والاعتراف بالجميل من طرف قائد ج.ت.و يبين مدى تأثره بموت فانون الذي يعد خسارة للثورة الجزائرية لما كان له من دور فعال في نشر الوعي الوطني التحرري ضد الاستعمار[2].

وان تغيرت الكلمات التي ألقيت في مراسم توديع الثائر "فرانز فانون" بتغير كاتبها والذي ألقاها على مسامع الحضور آنذاك، إلا أنها تصب في وعاء واحد، لأنهم يذكرون انجازاته الخالدة، ويرثونه رثاء المجاهد الصنديد الذي حارب الاستعمار من اجل أن تنعم الجزائر بالحرية والاستقلال.

إذ نجد في نفس السياق: ما قاله نائب رئيس الحكومة المؤقتة في حق الثائر فرانز فانون: « ... باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وباسم الشعب الجزائرية، وباسم كل إخوتك في الكفاح، وبالإضافة إلى نفسي أودعك... وأقول انه على رغم رحيلك عنا ستظل ذكراك حية وستظل ثورتنا تستحضرها على الدوام... لقد كرست حياتك للدفاع عن قضايا الحرية والشرف والعدالة والخير، رحيلك يؤلمنا كثيرا ...» (...) « ...فرانز فانون ستظل دائما حيا في قلوبنا فاسترح في قبرك، فبلادنا لن تنساك»[3].

وبعد ترسيم الحدود مع تونس في سنة 1965م تم نقل رفات "فانون"، إلى الجزائر مرة أخرى ودفن بمقبرة عين الكرمة بـ(الطارف)، وفي نهاية الستينيات، وجه بعض الاستقلاليين المارتنكيين وعلى رأسهم الأخ الأكبر لفانون "جوبي" (...) طلب للحكومة المؤقتة، تمثل في

---

[1] حورية سايحي، أخونا إبراهيم عمر، فرانز فانون (Frantz Fanon)، شريط وثائقي حول شخصية فرانز فانون، شهادة المفكر والمؤرخ شارل جيرون، زيارة الموقع على اليوتيوب : https://youtube.com، تاريخ الزيارة: 02 مارس 2019.

[2] برابيع رزيقة، المرجع السابق، ص 14.

[3] حازم خيري، المرجع السابق، ص 27.

نقل جثمان المفكر الأسود إلى جزر الأنتيل[1]. لكن لم تستجب السلطات الجزائرية لهذا الطلب، وكذلك رفض سكان عين الكرمة، بحجة أن فرانز فانون شهيدهم وبأن قبره مقدس[2].

وفي سنة 1978م، اقترح الرئيس "هواري بومدين"، (بضعة أشهر قبل وفاته)، إلى "جوزي" فانون (زوجة فرانز)، فكرة إعادة دفن زوجها بتنظيم مراسم جنازة عظيمة بمربع الشهداء بالعالية، لكنه تلقى بدوره رفض قاطع من قبل أرملته المستاءة من تطور الأحداث في الجزائر المستقلة، وأعربت "جوزي فانون" قبل وفاتها بقليل على رغبتها الشديدة في أن تدفن في مقبرة القطار القريبة من حي القصبة بالجزائر العاصمة إلى ابنها "اوليفييه"[3].

يقول المحامي المارتنيكي "بارل فيكتور" استحضار لذكرى وفاة فرانز فانون: « عندما فكر مارسال مانفيل بإقامة نصب تذكاري فرانز فانون، كان أولا تكريما لأمه ثم لفانون شخصيا، لان المارتنكيون يجهلونه تمام، وفي سنة 1988م، أقيم لفرانز فانون نصب تذكاري في حضرته شخصيات كثيرة لها صلة وطيدة بفانون وحضر هذا الحفل خاصة الذي أعجبوا بفانون، فحاولوا تعريفه للآخرين، وهدفهم بذلك إعادة فانون لشعبه الأصلي[4].

رجل في قامة فرانز فانون يموت واقفا لن يحاصره سجب أو قلعة، لا يبدو أن الحرية قد آلت للنسيان وانه بالنسبة لها ولفانون لا يوجد لزاوية ميتة يتكاثر فيها التردد، ذاكرتها للمساحات الشاسعة... فرانز بطل ، أخ ، وإبن للجزائر المناضلة، لإفريقيا الوثابة ولكل المعتقين والرجال الأحرار في قارتنا وجزرنا[5].

---

[1] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 218.

[2] المعطي قبال، "كيف ساهم مؤلف «معذبو الأرض» في إشعال ثورة الجزائر"، صحيفة المساء، يوم2011/11/14، الموقع : https:// Maghress.com، تاريخ الزيارة: 2019/03/01.

[3] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 2019.

[4] حورية سايحي، أخونا إبراهيم عمر، فرانز فانون(Frantz Fanon) ، شريط وثائقي حول شخصية فرانز فانون، شهادة المفكر والمحامي المانتيكي "بارمال فيكتور"، بتاريخ 2019/02/28. زيارة الموقع على اليوتوب : https://youtube.com

[5] عبد القادر بن عراب، المرجع السابق، ص01.

مات فانون ولن ينعم بالحرية وباستقلال الجزائر[1].وإذا كان قد مات مبكرا فإن فكره الذي هو فكر ج.ت.و مازال حيا، وفد اثبت الواقع أن تجسيده الميداني لا يمكن إلا أن يقود إلى النصر والى بناء المجتمع الأفضل التي تصبوا إليه قوات التقدم التي قوات الخير[2].

هذا هو فرانز فانون لمن لا يعرفه !؛

لقد مات فنون مقاتلا مناضلا، تاركا دعوة مفتوحة تصلح لأي زمان ومكان وللنضال ضد أي ظلم... للتحرر من كل ما يقيد تفكيرنا وأفعالنا... وللإيمان بشيء يستحق الموت من اجله[3].

[1]عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص 68.

[2]محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص68.

[3]عبد القادر حسين ياسين، المرجع السابق، د ص.

إن البيئة التي عاش فيها فانون كان لها دور كبير في تحديد شخصيته، ودراسته وتكوينه كان لهما أثر في بلورة فكره وثقافته، وبالرغم من تفوقه إلا أنه بقي يشعر بالعنصرية وأن مستوى نجاحه لم يغطي لون بشرته ولم يغير نظرة الرجل الأبيض نحوه، لقد حاول فانون جاهدا أن تنعم البلدان المستعمرة بحريتها، ولكنه مات وهو يحاول فعل ذلك، مات لكن بقي اسمه حي في ذاكرة الشعوب المناهضة للاستعمار، وفي ذاكرة ثورتنا المجيدة.

الفصل الأول:

فرانز فانون ونضاله الثوري

(1953م – 1961م)

الفصل الأول:

فرانز فانون ونضاله الثوري (1953م – 1961م)

المبحث الاول: تعيينه في مستشفى البليدة. (1953م–1956م)

المبحث الثاني: انضمام فانون للثورة الجزائرية.(1956م – 1961م)

المبحث الثالث: عمله على مستوى الجبهة الجنوبية. (1960م–1961م)

لقد خاض الشعب الجزائري المجاهد التجربة الرائدة في مكافحة الاستعمار، وقد ساندت هذه القضية دول وشخصيات لا مجال لحصرها في عملنا هذا وكلما كانت منددة بممارسات فرنسا بحق هذا الشعب، ولم تكتفي بالتنديد لها فقط بل انضمت فعليا لجبهة التحرير الوطني كونت شبكات لدعمها وكان همها الدفاع عن حرية واستقلال هذا الشعب.

ومن بين هؤلاء "فرانز فانون"، الذي لم يكتفي بفضح جرائم الاستعمار من خلال مؤلفاته، بل وانخرط في صفوف الثورة الجزائرية، ووضع لنفسه مكانا وسط المناضلين ضد القمع والاستعمار الممارس ضد أبناء هذا الوطن المسقي بدماء فلذات أكباده.

المبحث الأول: التحاق فانون بالجزائر وتعيينه في مستشفى البليدة (1953):

بحلول سنة 1953م، قرر فرانز فانون أن يخدم في واحدة من عواصم البلدان الإفريقية، فطلب من الجزائر والسنغال أن توافق على استقدامه للعمل في أحد مستشفياتها لكن السنغال لم ترد على طلبه رغم أنه راسل آنذاك الرئيس السنغالي "ليوبولد سيدار سنغور" شخصيا[1].
ظل فانون في سان ألبان لمدة خمسة عشر (15) شهرا[2]، وبعد أن نجح في مسابقة الالتحاق (ميديكا Medicat) لمستشفيات الأمراض العقلية والتمس منصبا في مدينة البليدة (مستشفى "جوان فيل" سابقا)، الذي كان في ذلك الوقت من أهم مستشفيات منظومة الطب النفساني الفرنسي[3]، وكان قد مضى على الثورة الجزائرية في العام 1956م عامان وهي تتصاعد يوما بعد يوم[4].

لم يكن الطب النفساني بالنسبة لهذا الطبيب اللامع اختصاصا مثل اي اختصاص آخر، بل إنه يسمح و يفرض منهم أسباب الآلام النفسية، وباعتباره منتميا لمجموعة كبرى من ضحايا الاستعمار فهو يدرك انه إذا وقع كل البشر ضحايا اعتداءات تمس قدراتهم على فهم حياتهم والتحكم في سلوكياتهم، فإن المستعمَرين معرضون زيادة على ما سبق على اعتداءات المعمرين إلى العنصرية والاجتثاث الثقافي[5].

حينما حل بدينة البليدة كان عمر فرانز فانون 28 سنة، أي انه كان رجلا راشدا، وكان يتلم تكوينا جيدا في مجال الطب يميل نحو المعرفة النفسية والمشاكل الاجتماعية، ومن بينها الممارسات الاستعمارية التي تخلق بعض أشكال الاغتراب التي لا مثيل لها.

---

[1] عصام بن شيخ، المرجع السابق، د ص.

[2] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص214.

[3] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص09.

[4] ديفيد كوت، المصدر السابق، ص 79.

[5] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 09.

وكان قد تم وضعه على هذه المؤسسة التي تم تدشينها في سنة 1938م، من طرف السيد " لوبو" (le Beau)، الحاكم العام آنذاك، إذ قام " فانون" بالكثير من الاكتشافات التي صدمته بفظاعتها، حياة داخل المصلحة العقلية معاناة نفسية لا توصف[1].

يقول أحد المؤرخين بهذا الصدد، وهو يتحدث عن فرانز فانون: «... عندما وصل فانون إلى البليدة كان شابا، لكن ذا تجربة وخبرة حصلها من دراسته في الطب النفسي الحديث بفرنسا القاضي بإشراك المرضى في الحياة الاجتماعية، وبإنشاء العلاقة الإنسانية بينهم وبين الساهرين على معالجتهم،"إن تحقيق هذه النظريات الحديثة وقعها فرانز فانون ميدانيا، وذلك بمنشآت طبية، داخل المستشفى ذات أشكال مطابقة للنمط المجتمع العربي المسلم"[2].

لقد أراد فانون إظهار ما يعرفه عن هذا لاستعمار للعيان ومكافحته عن طريق مساعدة الضحايا على تمالك أنفسهم من خلال وعيهم بسبب مرضهم (وهو عمله كطبيب نفساني)، ثم مشاركتهم في الكفاح ضد مسببات هذا المرض (وهو الجانب السياسي من عمله)، وهكذا اندمج فانون، كرجل علم، في حركة تجديد الطب النفساني التي كانت بدايتها الأولى في أوروبا آنذاك، وكرس أولى أعماله للتخصص في الأمراض التي تظهر على المغاربة المعالجين في مستشفيات فرنسا[3].

إذ يرى فانون ن علم طب الغربي الذي أدخل في الجزائر في آن واحد مع الروح العرقية، ومع الانحلال، قد أحدث دوما باعتباره جزءا من الجهاز التعسفي موقفا ازدواجيا لدي المواطن الأصلي، ويمكن لنا أن نعثر على هذه الازدواجية في موضوع جميع أنماط حضور المحتل بل نحن في الطب نتطرق إلى واحدة من أكثر القسمات المأساوية في الوضع الاستعماري[4].

---

[1] عبد القادر بن عراب، المرجع السابق، ص 20.

[2] جوزية سائحي، المرجع السابق، د ص.

[3] فرانز فانون، المصدر السابق، ص 09.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر: ذوقان قرقوط، مرا: عبد القادر بوزيدة، ط 1 ، دار الغرابي منشورات آينب ANEP، لبنان 2004، ص 127.

اصدم فرانز فانون بصعوبات جمة لأن الأساليب التي جربت مع الأوروبيين لا يمكن أن تنجح هي نفسها مع مرضى جزائريين تختلف بيئتهم الاجتماعية عن البيئة الأوروبية، وشيئا فشيئا اكتشف فانون أن هذا الاختلاف يرجع إلى عوامل وأوضاع سياسية كما اكتشف عوامل الجنون التي ترجع إلى الوضع السياسي للسكان المحليين، أي أصناف المرض العقلي التي تسبب فيها الاستعمار، وليس من المستبعد أن تكون تجربة فانون كطبيب نفسي في الجزائر وخاصة بعد دراسته لحالة المرض بعد قيام الثورة المسلحة، قد كشفت له عن انسداد الطريق الفرنسي بالنسبة لحل المشاكل المتولدة عن الاستعمار وقد استخلص النتيجة في ذلك فكان انضمامه إلى الثورة الجزائرية[1].

اكتشف فانون أن القمع الاستعماري كان أحد أهم أسباب إصابة بعض الجزائريين بالجنون، وبالفعل لقد كانت حصيلة 132 سنة من القمع و الاحتلال الفرنسي كبيرة في تأثيرها في نفسية كل جزائري شريف مقاوم للاحتلال، وقد كانت إحدى الأمثلة واضحة في قصة الشيخ الجليل " عبد الحميد بن سماية"، أحد مشايخ "جمعية علماء المسلمين الجزائريين" ، والذي قيل أنه فقد عقله في الذكرى المائة لاحتلال الجزائر سنة 1930م، اذ لم يحتمل الشيخ منظر الاحتفالات التي أقامها على أرض الجزائر الكولون الفرنسي، وبعض الأهالي الخائنين والمستسلمين، ليصاب بخيبة أمل كبيرة، كسرت خاطره وتسببت له بالجنون واستمرت حالته كذلك حتى وافته المنية رحمه الله، وقد كانت حكاية الشيخ بن سماية بلا شك من أهم الأمثلة الواضحة التي لفتت نظر فرانز فانون حول التأثير النفسي الكبير للاستعمار في نفسيات وعقول المواطنين الجزائريين طوال قرن وربع من الاحتلال المستمر[2].

واصل فانون تعميق بحوثه الاجتماعية التي قادته إلى دراسته الفرد الجزائري في محيطه الخاص في اتصال مباشر بالممارسات الاجتماعية ونظام التقاليد والحياة الدينية التي يعيش فيها.

[1] محمد الميلي، المصدر السابق، ص21.

[2] عصام بن شيخ، المرجع السابق، د ص.

اي محاولة لفصله عنها تصبح عملية لتشويهه وتهديم بنيته في العمق، الحقيقة هي أن الممارسات القمعية للآلة الاستعمارية هي التي أنتجت تلك الانعكاسات الهدامة على نزلاء السجون بتدنيس ثقافتهم وحرمانهم من التمتع بالمساحة التي تعودوا عليها وارتبطوا بها عميقا. الكثير من المرضى الجزائريين المحرومين من عائلاتهم ومحيطهم الطبيعي تم ترحيلهم إلى فرنسا لمعالجتهم في مؤسسات غير متوافقة وحاجاتهم. إن الأمراض النفسية تتطلب علاجا داخل المحيط الأصلي التي يشكل بالنسبة للمريض دعامة وللمداومة منفعة كبيرة[1].

إن تنشيط فانون في البليدة جعله يبدأ بالتفكير حول الموضع الاستعماري للمستوطنة بعد اكتشافه لحجم الأضرار النفسية التي يخلها الاستعمار من خلال المرضى الذين كان يفحصهم في المستشفى الذي يعد وسط نفسي فريد من نوعه.

واعتمد فانون طريقة علاجية مبتكرة بالنسبة للمؤسسة الصحية، تتمثل في العلاج النفسي المؤسسي التي شكلت ثورة في عالم الطب النفسي الاستعماري، أنشأ ورشات للحرف التقليدية لمصالح مرضاه، مثل صناعة السلاسل والبستنة، كما كون مجموعة صوتية مثل المغني الشهيد "عيد الرحمان عزيز"، الذي كان يشتغل كممرض في مصلحته.

اعتبر أنصار الطب الاستعماري الفرد الجزائري "كاذب فعلي بسبب بدائية الخلقية" ووفقا لهذه الفرضية، يعتبر الإنسان الشمالي كائنا بدائيا، حيث تعد حياته نمائية وغريزة، وهي منظمة أساسا بدماغه البيني، مما يدل على نقص في نموه العقلي"[2].

إذن: لم يكن قدومه إلى مدينة البليدة عام 1953م، بمحض الصدفة، بل إنه اختيار المجيء لكي يفهم في البلدان تأثيرات الاستعمار على الأشخاص، وقدرات المقاومة الشعبية في واحدة من الأراضي الأكثر تضررا في ذلك التاريخ.

[1] عبد القادر بن عراب، المرجع السابق، ص 20.

[2] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص215.

وقد بدأ منذ تقلده لمنصبه يتمرد على الأساليب المستعملة، حتى ذلك التاريخ اتجاه المرضى، حيث بقي أكثر الأطباء على وفائهم للممارسات القمعية، التي ندد بها التيار المجدد الذي كان فانون من بين رواده في فرنسا، ويضاف إلى تلك الممارسات أفعال عنصرية مبطنة أو ساخرة تجاه المرضى الأهليين (indigenes).

على هذه الجبهة المزدوجة تركز عمل فانون فهو يحرر المرضى من عقدتهم، وينظم الو رشات ويهيأ ملعبا ومقهى، وينشط فريق كرة القدم والجريدة ويدرس في نفس الوقت الصدمات التي تسببها العلاقة، ويحلل بصفة معمقة حالات ذات دلالة ويقيم علاقات تتسم بالثقة مع التقليدية السائدة للتكفل بالاضطرابات العقلية[1].

كان فانون ذات علاقة وطيدة مع مرضاه في المتشفى، إذ كان مرضاه يلقبونه بعدة القاب من بينهم لدينا: "دكتور نيقرو: فإن يديه مباركة".

أما الطلبة فكانوا يقولون عنه: أنه: لدينا أستاذ فهو من أكبر العباقرة.

على عكس الأطباء الفرنسيين الآخرين، الذين كانوا يتعاملون مع المرضى الجزائريين أقسى أنواع المعاملة، وقول فرانز فانون الذي تحدث حول معاملة الأطباء الفرنسيين للثوار الجزائريين يؤكد ذلك: «لقد رأينا أطباء عسكريين طلبوا سريرا لجندي جزائري جرح في المعركة، حيث رفضوا معالجته، وكانت الحجة الرسمية إنه لم يكن هناك حظ كافي للإنقاذ حياة المجاهد. وبعد أن استشهد هذا الأخير، سلم الطبيب هذا الحل، يبدو له أجدر وأفضل من البقاء في السجن، أين يمكن تقويته، ريثما ينتظر إعدامه، إن مواطني منطقة البليدة يعرفون مدير المستشفى تمام المعرفة، يرمي بمنزوفي الحرب المجروحين، بينما هم ممدين في أروقة إقامته »[2].

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 10.

[2] عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص ص 68 – 69.

وفي أواخر 1956م، استقال من منصبه كطبيب نفسي، في رسالة[1] مفتوحة موجهة إلى الوالي العام "لاكوست[2]"[3]. للتنديد بالفظائع الاستعمارية، والاستقالة من منصبه، في الوقت نفسه الذي تلقى فيه قرار طرده من التراب الوطني في مطلع سنة 1957م[4].

[1] انظر إلى الملحق رقم (01).

[2] "لاكوست": (1898-1989): سياسي اشتراكي فرنسي، تولى العديد من الوزارات من 1944م، كان آخرها وزير مقيم بالجزائر بين (1956-1958)،(ينظر إلى: هنري علاق: "عودة الاستطان، حوار مع جبل مارتان، تر: مصطفى وليد عبد الخالق، د ط، أمدوكال للنشر، الجزائر 2013، ص 91.

[3] Frontz Fanon, « Les domnes de la terre », Edition Maspiro, Paris 1961, P07.

[4] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 215.

المبحث الثاني: انضمام فانون للثورة الجزائرية وعمله الدبلوماسي(1956-1961):

لم يكن انضمام فانون للثورة الجزائرية وليد صدفة بل جاء بعد عدة مواقف واجهته أثناء فترة تواجهه في الجزائر وعلمه كطبيب في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، حيث استغرب فانون من عمل الحكومة الفرنسية حيال رغبة الجزائريين بالاستقلال ومطالبتهم بالحرية، ومن هنا صارت مواقف فرانز فانون المعادية للاستعمار واضحة، فأقام فانون الصِلات مع حركة الصدقات الجزائرية[1].التي طلبت منه الاعتناء ببعض المقاتلين الذين يعانون ن الأمراض النفسية التي تسبب فيها الاستعمار[2].

كان تقرب فانون من المناضلين الجزائريين لغرض واحد وهو إقامة علاقات مع المحاربين الوطنيين، ونظرا لقرب مكان عمله من مواقع تواجد ثوار الولاية الرابعة لجيش التحرير الوطني، تم ضبط الاتصال بصفة سريعة سنة م1955، كان فانون يقوم بمعالجة الثوار بصفة سرية في مستشفى البليدة وفي بعض الأحيان كان هو من يقوم بالتنقل من اجل معالجتهم[3].

انتهى نشاط فرانز فانون كطبيب في مستشفى" جوان فيل" سنة 1957م وهي السنة التي قام فيها بتوجيه رسالة استقالته إلى الوزير المقيم "لاكوست"، وفي نفس الوقت تلقى قرار طرده من التراب الجزائري مطلع 1957م[4]، لينتقل فيما بعد إلى فرنسا ويمضي بها ثلاثة أشهر وفي الثلاثي الأول من 1957م، توجه إلى تونس أين التحق بمنظمة الداخلية للتحرير الوطني (FLN) وفي تونس أعاد بعث نشاطه كطبيب نفسي وفي المقابل كمناضل سياسي[5].

---

[1] "حركة الصدقات الجزائرية": هي جمعية إنسانية تهدف لتقديم الدعم المادي لعائلات المعتقلين السياسيين وموجهة من طرف ناشطين وطنيين لهم علاقة مع الثوار العاملين في جوار البليدة (ينظر إلى: فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق ص12).

[2] نفسه، ص 12.

[3] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص 215.

[4] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 12.

[5] Frontz Fanon, OPCIT, P08.

لقد شعر فانون بأنه معني مباشرة بالقضية الجزائرية، حيث اعتبر نفسه جزءا منها، وذلك لتأثره الكبير بها وهذا ما كان من أهم الدوافع التي كانت سببا في انضمامه للثورة الجزائرية.

فلقد اعتبر فانون نفسه جزائريا بسبب المواقف التي واجهته منها أنه في إحدى المرات كان على متن سيارته خلال شهر رمضان، يدخن سيجارته، وهو واضع مرفقه على حافة النافذة المفتوحة، على الطريقة الإيطالية، وفجأة مر به جزائري ظنه من مواطنيه بسبب لوم بشرته الداكن فقال له: "يرجى منك عدم التدخين خلال شهر رمضان"، أطفأ فانون سيجارته على الفور دون أية استجابة، قال فانون بعد هذا الموقف وإثر هذه الحادثة انه شعر بالانتماء إلى الجزائريين[1].

التحق فانون بصفوف جبهة التحرير بتونس[2]. وذلك بفضل بعض المسؤولين عن فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا ووضع نفسه تحت خدمة الثورة الجزائرية حيث عمل في صحيفة المجاهد[3]،وأيضا عمل كطبيب في جيش الحدود أين اكتشف معاناة اللاجئين الجزائريين[4].

لابد من التأكيد على أن غالبية المقالات التي كتبها فانون خلال الحرب كأنها مقالات كتبها جزائري غيور على وطنه، وأراد لها العيش في كنف الاستقرار والاستقلال .

كان فانون من بين الأشخاص الذين فرضوا أنفسهم بفضل عمق تحليله وسعة افقه، وأيضا من خلال دقة توقعاته وتفضيله لمبدأ السماع على الكلام[5].

---

[1] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص217 - 218.

[2] عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص 69.

[3] "المجاهد":هي صحيفة ظهرت لأول مرة كنشرة للثورة في جوان 1956م، وكانت تصدر باللغة الفرنسية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية، اعتبرت المجاهد لسان خال ج.ت.و (ينظر: الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الملتقى الوطني الأزل حول الإعلام المضاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، دار القصبة للنشر، الجزائر 2010، ص386.

[4] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 291.

[5] حسن شمص، " الثورة الجزائرية بأقلام عربية وشهد شاهد"، ط 1، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 222.

نشاطه على المستوى الإفريقي (1957 - 1961):

لمس فانون بعد انضمامه للثورة الجزائرية انفتاح وانتشار صدى الثورة على المستوى الإفريقي، وأيضا اتصال بعض الثوار الإفريقيين بقيادة الثورة الجزائرية من اجل مدهم بالتجربة[1]، ومن هناك زاد اهتمام فانون بإفريقيا[2]، لقد كان موقف فانون السياسي يتمثل في تحقيق الوحدة الإفريقية التي تستطيع العمل مع آسيا وأمريكا اللاتينية لتحقيق استقلالها السياسي والثقافي والاقتصادي من القوى الاستعمارية العظمى، لقد كان فانون يحلم بالوحدة الإفريقية المتحررة من كل استعمار أجنبي، انظم فانون إلى فريق الحكومة المؤقتة[3] وشارك كذلك في وفود الجبهة الخارجية[4]، لقد ساعدت شخصية فانون في تنمية العمل الدبلوماسي للحكومة المؤقتة وكذا في تفعيل النشاط الثوري[5]، حيث كان فانون الناطق باسم الوفد الجزائري في المؤتمر الإفريقي الذي في آخر سنة 1958م[6] حيث احتضنت مؤتمرين : المؤتمر الأول كان من 15 إلى 22 أفريل 1958م والمؤتمر الثاني من 8 إلى 12 ديسمبر من نفس السنة ولقد تمحورت أشغال هذين المؤتمرين حول تصفية الاستعمار في القارة الإفريقية وأيضا على دراسة القضية الجزائرية[7].

---

[1] حسن شمص، المرجع السابق، ص 222.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 12.

[3] الحكومة المؤقتة: تأسست في 19 سبتمبر 1958م، بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ، أسندت رئاستها إلى فرحات عباس، وقد اعترفت بها العديد من الدول في نفس اليوم. (للمزيد ينظر: شبوب محمد، اجتماع العقداء العشر: من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959م ظروفه، أسبابه، وانعكاساته على مسار الثورة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص الثورة الجزائرية 1954-1962، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار،2009-2010، ص 16).

[4] عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص69.

[5] مجاود حسين، "الثقافة السياسية لدى أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، فرحات عباس – بن يوسف بن خدة نموذجا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قيم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017/2016، ص162.

[6] هيئة التحرير، الذكرى الأربعون لاندلاع ثورة نوفمبر 1954،"الجزائر أمانة الأجيال" ، ط خ، مجلة الثقافة، العدد 104، وزارة الثقافة، الجزائر سبتمبر – أكتوبر 1994، ص 23.

[7] عمر بوضربة، تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954 – 1960م، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر 2015، ص 344.

كما حظيت القضية الجزائرية بالتأييد وانتهى المؤتمر إلى إصدار إقرار سجل فيه استنكار السياسة التعسفية لفرنسا ومطالبتها بالاعتراف باستقلال الجزائر والتفاوض مع الحكومة الجزائرية[1].

هذا وقد شجعت تصريحات قادة الثورة الجزائرية هذا الخيار، فقد كتب فرانز فانون يقول:

"والشعب الجزائري... رفع منذ 1954 شعارا له التحرر الوطني للجزائر وتحرير القارة الإفريقية[2].

لقد شارك فانون في هذا المؤتمر الإفريقي وأيضا في مؤتمر تونس الذي عقد سنة 1960م كناطق باسم الوفد الجزائري، وصار منذ ذلك الحين يشارك في مختلف المؤتمرات الدولية باعتباره ممثلا دبلوماسيا رسميا للجزائر[3]،وبعد سماح جبهة التحرير بإقامة مكتب لها في غانا[4] تم إنشاء مكتب للحكومة المؤقتة هناك، ولقد عين فرانز فانون مسئولا عنه[5]، لقد شارك فانون مشاركة فعالة من خلال تعريفه بالقضية الجزائرية وصار يبذل نشاطا سياسيا كبيرا من أجل توسيع دائرة الكفاح[6].

كان عام 1960 هو عام إفريقيا، حيث حاولت الحكومة الجزائرية المؤقتة أن توسع نشاطها باتجاه القارة لكسب مجموع الدول المستقلة حديثا وأيضا من اجل محاصرة الدبلوماسية الفرنسية، وتم الاعتماد على فرانز فانون باعتباره مناضلا للجزائر ملتزما[7]، فأبحاثه كانت رائدة في مجال توجيه الحركات التحررية، وكان بالنسبة للجزائر سفيرا وممثل

---

[1] احمد بشيري، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط 2، دار ثالة للنشر، الجزائر 2009، ص 130.

[2] عبد الله مقلاتي، «الثورة الجزائرية وإفريقيا صفحة دبلوماسية ناصعة»، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، د ط، شمس الزيبان للنشر والتوزيع ، الجزائر 2013، ص16.

[3] مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 432.

[4] صالح فركوس، "تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال ‘المراحل الكبرى’ "، د ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2005، ص455.

[5] عمر بوضربة، المرجع السابق، ص 482.

[6] الشاذلي بن جديد، "مذكرات الشاذلي بن جديد، ملامح حياة 1929 – 1979"، تحرير عبد العزيز بوباكير، ج 1، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر 2014، ص 168.

[7] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق ، ص 21.

للتيار التحرري، وأراد أن يكون رائدا لمختلف الحركات التحررية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، لقد كان فانون جزائري لتبنيه لقضية الجزائر التي اعتنقها وناضل من اجلها[1].

[1] رشيد بن يوب، دليل الجزائر السياسي، ط 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1999، ص166.

المبحث الثالث: جهوده في تشكل الجبهة الجنوبية 1960-1961م:

في الوقت الذي كانت تشهد فيه الثورة الجزائرية أهم مراحلها من اجل استعادة السيادة والتحرر من قيود الاستعمار والتخلص من الحصار الذي الاحتلال على الثورة[1]، ومنذ إعلان الجنرال ديغول[2] عن سياسة إدماج الجزائر في تنفيذ مخططاته الرامية للقضاء على الثورة، فلقد واجهت الثورة التحريرية صعوبات جمة حيث تعرضت الولايات الداخلية لصعوبات وتضييق كبير بسبب سياسة فرنسا الجهنمية في قمع الثورة، فكان إغلاق الحدود بخطي شارل و موريس آثار سلبية عميقة على الوحدات المقاتلة في الداخل[3]، ومن هنا بدأت تتبلور لدى القيادة العليا للثورة فكرة توسيع دائرة الكفاح، وفتح جبهة جديدة من اجل تخفيف الضغط وأيضا من أجل أن تزيد من صدى الثورة داخليا وخارجيا[4]، فقد وضعت الجبهة نصب أعينها توسيع جبهة المواجهة مع العدو والى أقاصي الصحراء وإقامة جبهتين، واحدة على الحدود الليبية – الجزائرية والأخرى على الحدود المالية والنيجيرية – الجزائرية والهدف منها إشراك سكان المنطقة الجنوبية الصحراوية في الكفاح التحرري، والتأكيد على البعد الإفريقي للثورة الجزائرية و مواجهة مخطط فصل الصحراء وفتح شبكات للتموين والاتصال بالداخل[5].

فبالرغم من اختلف والشك الذي كان حول من هو صاحب فكرة إنشاء الجبهة الجنوبية لكن شهادة "محمد الشريف مساعدية"[6] حسمت الأمر حيث قال: «... كان لابد من إرسال بعثة إلى الجنوب والى الدول المجاورة لنا على الحدود، وكانت هذه البعثة من الدكتور فرانس فانون والضابط فرحات من الجنوب الجزائري وكان لدينا مجموعتان واحدة اسمها مجموعة

---

[1] بن حود محمد الصالح، "القصة الكاملة للجبهة الجنوبية التي أسسها الرائد عبد القادر المالي رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة"، الشعب تنقل شهادات من مفجري الثورة بعاصمة الاهقار، د.ع، الأربعاء 17 ديسمبر 2014، ص1.

[2] "شارل ديغول": رجل دولة فرنسي واحد ابرز الشخصيات السياسية العسكرية الفرنسية في القرن العشرين (للمزيد انظر : رمضان بورغدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962، سنوات الحسم والخلاص، د ط، منشورات بونة، الجزائر 2012، ص151).

[3] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، " الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية"،ص16.

[4] بن حود محمد الصالح، المرجع السابق، ص1.

[5] عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 75.

[6] "محمد الشريف مساعدية": 1924 – 2002، قيادي في القاعدة الشرقية وفي الجبهة الجنوبية ، قام بدور بارز في توسيع نشاط الجبهة الجنوبية ، أصبح مسؤولا لحزب ج.ت.و بعد الاستقلال، وواصل خدمته وأصبح وزيرا سنة 1979م، (للمزيد ينظر: عبد الله مقلاتي، موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر 2013، ص346).

العمل والأخرى مجموعة الاتصال وتم تكليف هذه الأخيرة بعمل اتصالات واختير الدكتور فرانز فانون لأنه كان على قرب بالمفكرين الأفارقة وبكثير من الإطارات الإفريقية...»[1].

ترجع فكرة إنشاء هذه الجبهة إلى نهاية عام 1959 حيث قام فانون بجمع معلومات كافية عن المشروع والاتصال بالقادة الأفارقة المعول عليهم مهم الرئيس الغيني "سيكوتوري" و"مودي يوكايتا" الذي كان يكافح من اجل تحرير "مالي"، وقد لعب فانون دورا أساسيا في اقناع "سيكوتوري " بدعم مشروع والسعي لكسب السلطات المالية والنيجيرية[2].

انطلق فرانز فانون وبعض القادة الآخرين ضمن وفد جزائري من غانا إلى غينيا على متن طائرة، ومن غينيا إلى باماكوا برا، ووقف الوفد على إمكانية إنشاء جبهة جنوبية من هدفها إجهاض فكرة المستعمر حول التقسيم[3]، وأيضا حول إمكانية إنشاء قاعدة تسمح بإيصال الأسلحة إلى طريق الصحراء الجزائرية[4].

ويذكر فانون بحماسة بأنه وبعد الوصول إلى "غاو" ببضع دقائق شرع في العمل فقد دوّن فانون تفاصيل الرحلة والمهمة في وثيقة.

وبعد المعاينة والوقوف على جغرافية المنطقة وإمكانياتها السياسية والعسكرية رجع احد أعضاء الوفد إلى تونس بتقرير مفصل حول الوضع، وعلى ضوء هذا التقرير الايجابي قررت قيادة الثورة فتح جبهة جنوبية على الحدود المالية النيجيرية، ووضعت كل الإمكانيات لإنجاحها[5].

ومما ساعد فانون في إنشاء هذه الجبهة هو أنه في مدينة "غاو"تحصل على قائمة بأسماء الجزائريين المتواجدين في المنطقة تسهل عملهم أكثر حيث يقول في هذا الصدد: «... وقد وجدنا في "غاو" أرشيفا كاملا تركته المخابرات الفرنسية على الحدود الجزائرية وهي تشمل أسماء كل الجزائريين الذين يعيشون في المنطقة كما تنص على مواقفهم من الأفكار الوطنية وبسهولة وجدنا أساسا نستطيع أن نبني عليه عملنا...» وهذا يعني أن القوة التي

---

[1] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، ص 162.

[2] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، "الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية"، المرجع السابق، ص ص 34، 35.

[3] بن حود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 2.

[4] مجاود حسين، المرجع السابق ص 162.

[5] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، المرجع السابق، ص ص 38 - 41.

ستعتمد عليها الجبهة موجودة وجاهزة ومعروفة[1]، ولقد تطرق فانون في تقريره للكثير من المسائل المهمة :

- إنشاء خطوط مواصلات بواسطة الشاحنات.
- تحديد الهدف الأساسي من إنشاء الجبهة.
- إستراتيجية العمل والنشاط العسكري[2].

هذا وقد حدد فانون أيضا خيارات في إنشاء هذه الجبهة وهي كما قال حرفيا :

« ...المشكل الأساسي هو معرفة الهدف والمتمثل في :

أ- إما تزويد القوى الموجودة بعد في الصحراء.

ب-وإما تزويد الولايتين الخامسة وما تبقى من السادسة.

ت-وإما إنشاء سلسلة من خطوط الهجوم تسير في اتجاه عمودي بالنسبة للأطلس التلي، سلسلة تمكن أن تتصل وتعمل عملا منسقا مع الولايات الموجودة...».

فبالرغم من ميل فانون للخيار الأخير إلا انه أشار إلى إمكانية تحقيق الأهداف الثلاثة مجتمعة[3].

[1] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، ص 666.

[2] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، المرجع السابق، ص ص 53 - 55.

[3] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، ص667.

وقد اقترح فانون أيضا نقل أقصى ما يمكن من العتاد نحو الحدود في ظرف شهرين، ثم الشروح في تكوين المراكز وفرق الثوار، وقد نصح فانون بخصوص التجديد انه من الأفضل الاعتماد على العناصر المحلية في البداية، كما ألح على أهمية أجهزة الاتصالات اللاسلكية وتجهيز الفرق بها[1].

ولتجسيد هذه الفكرة عملت قيادة الأركان بقيادة العقيد "هواري بومدين"[2] على فتح هذه الجبهة وأرسلت "عبد العزيز بوتفليقة"[3] قائدا عسكريا للمنطقة[4].

[1] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، المرجع السابق، ص ص 54 – 57.

[2] "هواري بومدين": رئيس الجمهورية الجزائرية السابق وأحد زعماء الجزائر، تولى قيادة ولاية وهران سنة 1954 بعد انضمامه للثورة، ثم رئاسة الأركان العامة سنة 1960، توفي سنة 1978، (للمزيد انظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان 1980، ص ص 46 -47).

[3] "عبد العزيز بوتفليقة": ولد سنة 1937 بوجدة، التحق بصفوف جبهة التحرير وعمره لم يتجاوز العشرين سنة، شغل عدة وظائف عسكرية، كلف سنة 1960 بمهمة قيادة الجبهة الجنوبية، انتخب كرئيس للجزائر في 1999 إلى غاية 2019 ليقدم استقالته في 05 أفريل 2019، (للمزيد ينظرإلى: بشير بلاح، المرجع السابق، ص422).

[4] بن حود محمد الصالح، المرجع السابق، ص01.

كان فرانز فانون من بين المثقفين الفرنسيين الذين يسعون إلى توسع شبكاتهم السرية وذلك لقيادة الحركة النضالية إلى جانب الثورة الجزائرية، والوقوف إلى جانب الشعب الجزائري والدفاع عن حريته واستقلاله في "إطار حق الشعوب في تقرير مصيرها".

فبالرغم من مشاركته القصيرة في الكفاح المسلح إلا انه ضمن مكانته في صفوف جيش التحرير الوطني، وتركك بصمة واضحة في تاريخ الثورة الجزائرية تحديد.

الفصل الثاني:

فرانز فانون كاتب و مؤرخ الثورة

الجزائرية

الفصل الثاني:

فرانز فانون كاتب و مؤرخ الثورة الجزائرية.

المبحث الاول : العام الخامس للثورة الجزائرية.

المبحث الثاني : معذبو الأرض.

المبحث الثالث : لأجل الثورة الأفريقية.

يعتبر فرانز فانون أحد أبرز من كتبوا عن الاستعمار والاضطهاد والعنصرية، فلقد حملت كتبه التي ترجمت إلى عدة لغات ومقالاته التي كتبها في جريدة المجاهد تراكماته الفكرية، والتي أكد فيها فضاعت الاستعمار وقساوته، ولهذا تعتبر مؤلفاته حول الثورة الجزائرية مرجع أساسي في تاريخ الجزائر.

ومن خلال هذا الفصل سنحاول تسليط الضوء على أهم الأحداث التي تطرق إليها فانون في كتاباته حول الثورة.

المبحث الأول: العام الخامس للثورة الجزائرية.

العام الخامس للثورة الجزائرية آو السنة الخامسة للثورة الجزائرية آو سيسيولوجية الصورة، اعتبر هذا الكتاب وثيقة دامغة ضد الاستعمار ووثيقة أخرى تكشف عن تطور المجتمع الجزائري بسبب الثورة وأيضا يعتبر وثيقة لتحرير الإنسان المضطهد[1]، يشكل هذا الكتاب مفصلا بارعا لجدلية التجربة المعيشة مع لغة التحول الثوري، ومحاولة لتوصيل فكرة إقامة جزائر جديدة إلى جمهور معظمه فرنسي، وقد تم إصدار هذا الكتاب عام 1959م، ومن أهم فصوله:

أولا: المرأة الجزائرية – الجزائر تلقي الحجاب –

تطرق فانون في الفصل الأول من كتابه إلى شرح أساليب التي استعملها الاستعمار الفرنسي من اجل تمزيق المجتمع أيضا محاولته البائسة في ضرب المجتمع الجزائري في الصميم و تحطيم أصالة الشعب مهما كان الثمن، وتحدث أيضا عن الدور الذي لعبته المرأة الجزائرية من خلال محافظتها على الشخصية الوطنية رغم محاولة المستعمر المساس بها، وتركيز الإدارة الفرنسية الاستعمارية على ضرب المجتمع الجزائري في صميم بنيته وفي قدراته على المقاومة ويقول فانون في الصدد: « قامت الإدارة الاستعمارية بوضع نظرية سياسية محددة، قائلة: إذا أردنا ضرب المجتمع الجزائري في صميم بنيته، وفي قدراته على المقاومة، فيجب علينا قبل كل شيء كسب النساء، ويجب علينا السعي للبحث عنهن خلف الحجاب حيث يتوارين، وفي المنازل حيث يخفيهن الرجل».

لقد حاول الاستعمار إخراج المرأة من بيتها بجميع الوسائل المتاحة وهكذا يستطيع ان يهين الشعب الجزائري[2].

لقد ركز فانون أيضا على تكاثر جمعيات التعاون والتضامن مع النساء الجزائريات، والمراد من هذه الجمعيات كما يقول فانون هو إشعار الجزائري بالخجل من المصير الذي يخص به المرأة، ولقد استعرض لنا فانون بعض الأساليب التي استعملتها الإدارة الاستعمارية حيث قامت بحصار النساء المعسرات، الجائعات، فمع كل كيلو من الدقيق يقدم لهن يقابله

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرحلة الثورة (1954 – 1962)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص600.

[2] فرانز فانون ، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 23–26.

مقدار من السخط على الحجاب، وتدعى النساء الجزائريات بعد كل هذا إلى القيام بتبديل مصيرهن، وقد رصدت الحكومة الفرنسية مبالغ ضخمة من اجل انجح مشروعها في نزع الحجاب وأيضا إنجاح التدمير الثقافي الذي يديره المحتل.إن هذا العمل تدخل فيه أيضا أرباب العمل ومحاولتهم دفع الجزائريين إحضار زوجاتهم في بعض المناسبات كأعياد الميلاد[1].

ويمكن القول بان فانون قد وضعنا في الثورة من خلال تأكيده بان كل حجاب منزوع يعلن عن امرأة جزائرية جديدة تأذن للمجتمع بالتفسخ وان كل جسم يتحرر من وثائق الحايك لكل وجه امرأة يبرز يعتبر سلبيا، ويكسف للمستعمرين آفاقا كانت ممنوعة حتى ذلك الحين، وان المجتمع الجزائري مع كل حجاب مهجور سيرضخ أكثر لإدارة المحتل[2].

كما تطرق فرانز فانون أيضا إلى قضية مقاومة المرأة الجزائرية وانضمامها للثورة وأيضا إلى قضية نزعها للحجاب واندفاعها مكشوفة في مدينة المحتل حيث أصبح لا يعرف بينها و بين الأوروبيات في المظهر، وكل هذا كان من اجل القيام بمهام من اجل الثورة من خلال نقل الأسلحة والهويات المزورة فقد نجحت المرأة وبشكل كبير في التمويه وجعلت الحجاب الذي يخلع ويعاد وسيلة للكفاح ضد المستعمر الفرنسي[3].

هذا الفصل يظهر لنا تفطن فانون للمحاولات الاستعمارية الرامية إلى هضم المرأة ودمجها في المجتمع الأوروبي ومحاولة القضاء على الشخصية الوطنية من الداخل بواسطة المرأة، لقد استطاع أيضا إن يرى المجتمع الجزائري بعدة نظرات مختلفة، فقد رآه بعين المثقف الغربي ورآه من جهة المتعاطف مع الشعب ورآه أيضا من الدخل إثناء التحاقه بالثورة الجزائرية واندماجه كليا بها[4].

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص27-29.

[2] نفسه، ص ص 32-35.

[3] نفسه،ص ص49-51.

[4] محمد الميلي، المصدر السابق، ص ص، 142-143.

ثانيا: وسائل الكفاح الحديثة – هذا صوت الجزائر–

يتحدث فانون في هذا الفصل عن المواقف الجديدة التي تبنتها قيادة الثورة أثناء الكفاح، مثل إدخال تقنيات جديدة كاستعمال جهاز الراديو.

إن الوضع الاستعماري هو الذي يستهدف من خلف هذه الوثائق الجديدة ويقول فرانز فانون في هذا الصدد أن الراديو كان يعبر عن المجتمع الاستعماري وقيمه وانه معظم الأوروبيين في الجزائر كان يمتلكون جهازا للراديو، أما الجزائريون الذين يكسبونها فهم محصورون في "البورجوازية المتطورة"، لقد كانت مئات الأسر الجزائرية لا تمتلك هذا الجهاز بالرغم من قدرتهم على الحصول عليه إلا أن السبب الحقيقي وراء عدم حصولهم عليه راجع تقاليد الاحترام حيث من المستحيل الاستماع إلى برامج الراديو وسط العائلة. ولهذا فإن المجتمع الجزائري يتقبل بصعوبة أجهزة الراديو، التي تزعزع استقراره[1].

لقد أخذت أجهزة الراديو في تزايد على نحو معتدل بعد مجازر سطيف و قالمة وحتى في ذلك الحين فان الجزائري كان يهتم بالاستماع إلى الإذاعات الأجنبية والعربية فقط، أما أجهزة الراديو فلا تدار على محطة – راديو الجزائر–[2].

فبعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية وانتشار صداها، تغيرت نظرة الجزائريين لأجهزة الراديو لأنه كان الوسيلة الوحيدة لحيازة مصدر غير فرنسي لإخبار الثورة. ويقول فانون بخصوص هذا: «أما التحول الحقيقي الذي حدث ف آخر عام 1955م، إذ وزعت فعلا في هذا الوقت منشورات تنبئ بوجود صوت الجزائر الحرة، حددت فيها ساعات الاستماع وأطوال موجة البث "وهذا الصوت الذي يتكلم من الجبال" وغير محدد المكان جغرافياً، ولكنه ينقل بلاغ الثورة العظيم إلى الجزائر كلها، ...ففي اقل من عشرين يوما نفذ جميع ما في المستودعات من أجهزة الراديو»[3].

واستعرض فانون أيضا كل التطورات التي صاحبت إنشاء إذاعة صوت الجزائر الحرة من القاهرة وتطرق إلى ذكر كل الظروف التي مرت بها وكيف كان الجزائري يعاني من اجل يعرف أخبار الثورة الجزائرية بالرغم من رداءة الصوت و التشويش الذي كان يغطيه إلا أن

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص65 – 68.

[2] نفسه، ص ص 69–71.

[3] نفسه، ص81.

الأمة بأكملها تشبث بنتف من جمل أثناء الإذاعة لان همهم الوحيد كان معرفة أشياء جديدة عن معارك مجيدة[1].

يقول فانون أيضا بان الكفاح الوطني و تأسيس رادو الجزائر الحرة قد احدثا تحولا أساسياً في صميم الشعب، وان صوت الجزائر الذي انشأ من لا شيء، قد جعل الأمة تتوحد، ومنح إلى كل مواطن كيانا جديدا وعرفه عليه بوضوح[2].

ثالثا: الأسرة الجزائرية.

يتحدث فانون في هذا الجزء من كتابه عن تطور الأسرة الجزائرية وتحولها وتغيراتها الكبرى بمناسبة حرب التحرير خلال مسيرتها، وتطرق إلى مدى الانسجام والتماسك الذي كان بين أفراد الأسرة الجزائرية وعن المكانة التي كان يحظى بها الأب داخل الأسرة حيث يقول فانون في هذا الشأن: « يأمر الأب أحيانا ابنه التزام السكينة وترك الكفاح و العودة إلى كنف الأسرة وتكريس نفسه لذويه، ويوجه إلى العازبين حديث الزواج، والى المتزوجين التذكير بواجباتهم، ويصبح أمر الخلاف مفضوحا، وهو ما يدعو الشاب الجزائري إلى الدفاع عن موقفه والبرهان على شرعية مسلكه الذي يتبناه إما والده ... إلا انه لا يوجد في ذلك استبعاد ورضخ للأب»[3] .

ومنه نستنتج أن العلاقة التي كانت بين الابن والأب علاقة احترام فهما في الأخير رجل واحد وأيضا البنت كانت تحتل في الأسرة الجزائرية دائما وراء الابن، فالفتاة الشبة على العموم كما يقول فانون لا تمتلك الفرصة لكي تنمي شخصيتها ولكي تأخذ المبادرات، فهي تأخذ مكانها في شبة التقاليد المنزلية الواسعة في المجتمع الجزائري. فالفتاة الجزائرية تتعلم منذ الصغر تجنب النقاشات مع الرجال وإلا تغضب الرجل، كذلك استعرض فانون كيف تتلقى البين القيم والتقاليد من والدتها، وإنها مع سن البلوغ تتجنب الظهور أمام والدها، ويبحث في أمر تزويجها. وحسب فانون فان الفتاة لا تتطور وفق مراحل الحياة الثلاث في الغرب : الطفولة – البلوغ – الزواج، فالفتاة في الجزائر سوى مرحلتين طفولة – فبلوغ و

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق ، ص ص ، 94 –96.

[2] نفسه، ص 98.

[3] نفسه، ص ص101–106.

زواج. وهذا راجع لخوف الأب من يترك ابنته رواءه بلا سند وغير قادرة على تدبير شؤونها لوحدها بعد وفاته[1].

لكن بعد اندلاع الثورة التحريرية تغيرت المواقف وأصبحت البنت الجزائرية فتاة مناضلة تتبنى مواقف مسلكية جديدة تكون قد أفلتت من الاعتبارات التقليدية وتختفي القيم القديمة والرهاب المجدب والطفولي.

لقد تمكن فرانز فانون في هذا الجزء من كتابه من تحليل شخصيات الأسرة الجزائرية حيث تمكن من التوغل داخل أعماقها مواقف أفرادها[2].

إن العلاقة التي كانت تربط المرأة بزوجها تغيرت مع بدابة حرب التحرير، وقد ذكر لنا فانون بعض النماذج عن كيفية التعامل بين الزوجين أثناء الثورة، وكيف التصق الزوجان الجزائريان احدهما بالأخر على نحر متين أثناء هذه الثورة[3].

واستعرض فانون أيضا الزواج والطلاق في كتابه حيث يقول: « يقرر الزواج عامة في الجزائريين الأسر، وبصورة دائمة تقريبا يرى الزوج وجه زوجته بمناسبة الزواج، وأسباب هذا التقاليد الاجتماعية والاقتصادية معروفة مفرقة كافية بحيث لا تقتضي منا العودة إليها، فالزواج في العالم الثالث ليس عقدا شخصيا ولكنه عقد ما بين عشيرة وعشيرة أخرى، وما بين قبيلة وقبيلة أخرى وأسرة و أسرة أخرى».

لكن هذا التقليد قد تغير بعد الثورة وذلك بسبب لقاء الرجال بالنساء العازبات في الجبال، فبينما تكون المرأة قائمة على العناية بالرجل على اثر غارة أو إصابة ما، يطرح أمام المسؤولين المحليين في جبهة التحرير الوطني مسألة الزواج. إذ يذهب رجال لمقابلة الضابط ويطالبون بالزواج من هذه أو تلك من الممرضات. ويتردد المسؤول من جبهة التحرير لمدة طويلة لأنه لا يستطيع تزويجها دون موافقة أبوها أو عمها أو أخوها لكنه يجد نفسه في بعض الأحيان مرغما على فصل العاشقين احدها عن الآخر وفي بعض الأحيان إعطاء تعليمات يمكن بموجبها إتمام عقود الزواج أمام المسؤول المدني.

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ص ص 108-111.

[2] نفسه، ص ص 112-114.

[3] نفسه، ص ص119-121.

ومن هنا نستنتج أن الثورة قد أزالت بعض التقاليد التي كانت متداولة مثل وجوب حضور الولي الشرعي للفتاة من اجل إتمام مراسيم الزواج ليحل محله المسؤول العسكري وهو الذي يمثلها، ولقد تطرق فانون إلى التغيرات التي تبحث الزواج مثل فتح سجلات للأحوال الشخصية[1].

أما الطلاق أي انفصال القرينين يقول فانون بأنه يمكن إعلانه في أي لحظة والذي كا يعبر عن ضعف في الرباط الزوجي وكان على الزوج أن يفسر لماذا يطلق، ثم بعدها تجرى محاولات للتوقيف، ويبقى المسؤول المحلي من جميع الوجوه إصدار القرار الأخير[2].

أما فيما بعض المجتمع النسوي فنجد أن فانون قد تطرق إلى التغيرات داخل المجتمع فلقد تبدل المجتمع النسائي في آن واحد وذلك من خلال التضامن العضوي مع الثورة وأيضا لان الخصم أو العدو كان يقتل الشعب الجزائري بطريقة وحشية رهيبة ويقول فانون بهذا الصدد:«إن النساء، اللواتي اعتدن أن يقصدن جبانة القرية يوم الجمعة، أو يقمن بزيارة المزار المحلي اللواتي يشكلن جزءا من عشرات ألاف الأسر المجمعة قد اقتطعن عن القيام بمثل هذا المشاء كما انقطعن عن غيره ...، أنهن ينتظمن حالا في صميم خلايا جبهة التحرير الوطني»[3].

وبعدما أشار فانون إلى المجتمع النسوي والتغيرات التي طرأت عليه أثناء الثورة انتقل إلى الحديث عن الجزائر المشتتة والهدف من الجرائم التي مارستها في الجزائر هو تشتيت شعبها وتمزيقه و تقسيمه من اجل إحباط أي محاولة لالتحامه وجعلها مستحيلة ن خلال عمليات الاعتقال التعسفية في حق الآلاف، وأيضا مراكز الاعتقالات التي شهدت تزايدا في الفترة ما بين (1955-1956)، إن الاستعمار الفرنسي قد أصاب الشعب الجزائري بجرح كبير كان من الصعب إلتآمه. إن النظام الاستعماري كان لا يريد شيئا سوى تكسير إرادة الشعب وتهشيم مقاومته[4].

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية ، ص ص 119-120.

[2] نفسه، ص 121.

[3] نفسه، ص ص122 - 123.

[4] نفسه، ص ص 125 -126.

رابعا: الطب و النظام الاستعماري.

تطرق فانون في هذا الجزء من كتابه إلى الطب الاستعماري والى نظرة الجزائري إلى الطبيب المستعمر الذي كان يرفض حيث يقول فانون: «إن حقيقة العمل الطبي في الجزائر هي أيضا حقيقة الحضور الفرنسي في شكله الاستعماري في الجزائري، ولما كان لا يستطيع التمييز بين الأشياء لأنه من الشعب ولان شعبه يريد أن يكون له وجود وطني على أرضه، فانه لا يجد أمامه عندئذ إلا اختيارات محدودة وهو يرفض في ذات الوقت، الأطباء والمعلمين والمهندسين»[1].

ويرجع رفض الجزائري للعلاج في المستشفيات إلى المناورات الإجرامية من الطبيب الأوروبي، حيث كان قلب الجزائري لا يخلو من الشك في إنسانية الطبيب المسيطر حتى لو كان الموت هو حليفه في اغلب الأحيان فالمريض الجزائري يفضل صنع التعاويذ وكتابة الحجاب كعلاج له على أن يتلقى العلاج والرعاية الطبية والعناية الصحية من المستعمر.

المستعمَر (الجزائري) يعتبر نفسه منتصرا عندما ينجوا من الطبيب، ويبقى جسده بتمامه مصانا فالاستشارة الطبية للمستعمَر (الجزائري) هي دائما بمثابة امتحان عسير[2].

كما تحدث فرانز فانون عن المهام التي كان يقوم بها الطبيب الأوروبي في الجزائر أثناء الكفاح فيقول في هذا الصدد: « فعندما يبدأ التحقيق القضائي مع الجزائريين لم يكونوا قد قضوا نحبهم أثناء الاستجوابات البوليسية كان يحدث لمحامي الدفاع أن يطلب إجراء كشف الطبيب الشرعي، وكانت الموافقة تعطى للمحامين أحيانا، وكان الطبيب الأوروبي المعين لذلك، يلخص دائما على إن الفحص الطبي لم يثبت بان المتهم قد عذب».

إن الطبيب الأوروبي كان عبارة عن غطاء لجرائم فرنسا ضد الجزائريين من خلال الشهادات التي كان يعطيها للقضاة الفرنسيين يمحي فيها جميع عمليات التعذيب التي قام بها المستعمر.

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 127-129.

[2] نفسه، ص ص 131-135.

وأضاف فانون متمما لما قاله سابقا إن السلطات الفرنسية كانت قد أعطت أوامر صارمة للصيادلة تمنعهم فيها من بيع الأدوية للجزائريين خاصة حقن الوقاية من الكزاز مما اضطر الجزائريين إلى الاستعانة بأحد الأوروبيين من أن يشتري له ما يحتاجه من الأدوية[1].

إن تطور الثورة الجزائرية دفع وحدات جش التحرير الوطني إلى اتخاذ تدبيرات رئيسية من خلال إقامة نظام صحي قادر على أن يناوب الزيارة الدورية التي كان يقوم بها طبيب الاستعمار[2].

ويخص فانون بالذكر الطبيب الجزائري، الطبيب الأهلي الذي كان الجزائريون ينظرون إليه كأنه سفير للنظام الاستعماري أصبح بعد الثورة واحد من الجماعة يتقاسم معهم مآسيهم، ويقول فانون في ذلك: «انه لم يعد "الـ" طبيب، والآن أصبح طبيب "نا" و خبير"نا"».

ونستنتج مما سبق ذكره بان الثورة التحريرية قد غيرت وبشكل كبيرة نظرة الجزائري إلى الأطباء حيث لوحظ تغير كبير في موقفه اتجاه المستشفيات التابعة للمحتل. إذ يحدث بأن تقضي الضرورة الحصول على دواء ما أو تعذر إجراء عملية جراحية في أوساط المقاومة في الجبل.كان على الطبيب أن ينصح المدني بالانتقال إلى مستشفى يدار من قبل الفرنسيين[3].

خامسا: الأقلية الأوروبية في الجزائرية.

يتحدث فانون في هذا الفصل عن التغيرات التي طرأت على وضع الأوليات الأوروبية في الجزائر، فلقد تطرق فانون إلى المساعدات التي قدمها الأوروبيون المساندون للثورة، وكيف هزت الثورة مجتمع المستوطنين في الجزائر ويقول فانون: «إن الأوروبيات والأوروبيين الذي أوقفوا و عذبوا من قبل أجهزة مصالح البوليس والمظليين الفرنسيين قد برهنوا على نحو دقيق بموقفهم وهم يسامون العذاب من ذوي قربانهم، عما في موقف جبهة التحرير من سداد الرأي. ولم يكشف فرنسي واحد حقيقة لرجال البوليس الاستعماريين أمورا

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 149-151.

[2] نفسه، ص 152.

[3] نفسه، ص ص 149-153.

رئيسية من أمور الثورة، على العكس، فقد كان الأوروبيون الذين يتم توقيفهم يقاومون إلى حد كاف لكي يمكنوا الأعضاء الآخرين في الشبكة من الاختفاء»[1].

وذكر أيضا فانون الأقلية اليهودية التي كانت متواجدة بالجزائر حيث كانوا يشكلون خمس سكان الجزائر غير المسلمين، ولقد كان لليهود آراء مختلفة حول الثورة فمنهم من ساندها ومنهم من كان ضدها، فالفئة التي كانت ضدها هي فرقة اليهود التي ربطت مصيرها بمصير السيطرة الاستعمارية وذلك لخوفهم من أن تنتزع منهم أعمالهم بعد الاستقلال ، أما الفئة الثانية التي كانت تحافظ على العلاقات الوثيقة بالسكان الجزائريين فيجد الإنسان تداخلا في المصالح ويقول فانون حول هذا: « في هذه التجمعات يقوم التجار اليهود بتأمين إمداد جيش التحرير الوطني بالملابس العسكرية والأغطية... ولم يعد مجهولا بأن تجارا يهودا عديدين منذ 1954م قد أوقفوا بتهمة التواطئ مع الثورة الجزائرية»[2].

وعلى عكس الجزائريين لقد تحصل يهود الجزائر على امتيازات من طرف السلطة الاستعمارية فبالرغم من أن اليهودي هو شخص محتقر، ومنبوذ من قبل الأوروبي إلا انه كان يعمل بدوره على إذلال الجزائريين[3].

أما فيما يخص المستوطنين فقد ذكرهم فانون أيضا في كتابه ولقد تطرق إلى دعمهم اللامتناهي للثورة وأيضا عن مساندتهم لجبهة التحرير من خلال قيامهم بإيواء المرضى وأيضا تخزين المؤونة في مزارعهم من اجل الثوار وحتى الأسلحة كانت تودع في المزارع، وأيضا إقامة الاجتماعات السرية لمسؤولي الجبهة داخل مزارع الأوروبيين حيث يتم تسليم الأسلحة في ظل حماية المستوطن الأوروبي[4].

في خاتمة كتابه استعرض فانون كيف دعم الأوروبيون في المدن الثورة التحريرية من خلال مساعدة بعض الأطباء والصيادلة لجرحى جيش التحرير الوطني، بينما يسلم آخرون كميات من الأدوية المضادة للالتهابات. وكان أطباء آخرون يقول فانون أنهم يذهبون بالالتزام إلى ابعد من ذلك، حيث ينتقلون إلى الجبال المجاورة لمعالجة الجرحى. كما كان

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 160-162.

[2] نفسه، ص ص 164-165.

[3] نفسه، ص 166.

[4] نفسه، ص ص 170-173.

بعض الأطباء الأوروبيون كذلك يقومون بتنظيم دروس سرية بقصد تخريج ممرضين عسكريين لجيش التحرير الوطني.

وإضافة إلى هذا ذكر فانون أيضا دعم بعض الفتيات الأوروبيات للثورة اللواتي كن يضعن أنفسهن تحت تصرف خلية سياسية ويحصلن لها على الورق وآلات الطباعة ويأخذن على عاتقهن طباعة المناشير لحساب جبهة التحرير الوطني، وبفضل تطوع عدد متزايد من المستوطنين الأوروبيين في الجزائر بمختلف شرائح المجتمع الأوروبي استطاع التنظيم الثوري أن يصمد في وجه المستعمر الفرنسي، ولم يكتفي الأوروبي بدعم الثورة من بعيد بل ذهب إلى ابعد من ذلك، وهو الانخراط في صفوف جيش التحرير وقد دفع آخرون حياتهم ثمنا لإخلاصهم للقضية الوطنية الجزائرية[1].

ومن بين الشخصيات على سبيل المثال نذكر منهم "هنري كوبال[2]"، الذي كان من بين ابرز الركائز لجبهة التحرير الوطنية[3].

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق ، ص ص 174-177.

[2] "هنرى كوبال":هو من عائلة بورجوازية يهودية، ولد في إحدى الأحياء الراقية في القاهرة وطرد من مصر بعد الحملة ضد الشيوعيين والحركة اليهودية، فسافر إلى فرنسا وسرعان ما ارتمى في أحضان جبهة التجرير، وقام بدور رائد في دعم الثورة الجزائرية، بنقل الأموال لجبهة التحرير، ومن فرنسا إلى البنوك السويسرية. (انظر إلى: سعدي بزيان، فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط1، دار نيسبان، الجزائر 2016، ص 22).

[3] نفسه، ص 22.

المبحث الثاني: معذبو الأرض.

إن فكر فرانز فانون ذهب إلى أبعد من سرد الوقائع ليقوم بتأسيس لفلسفة الخاصة، حول الاستعمار ومخلفاته ؛فنجده يتطرق في فصل له الحامل لعنوان"في الثقافة القومية".لمجمل ما حملته لفضة الاستعمار من معاني ،ليواصل تحليله لذهنية المستعمر فيقول "...الحق أن أبائنا قد ناضلوا كما استطاعوا" 'ناضلوا بالأسلحة التي كانوا يملكونها أيامئذ ،فكان لابد أن يقول أكثر من مستعمر ؛"لا يمكن أن يدوم هذا الوضع "كان لابد أن تقوم أكثر من قبيلة بعصيان،وكان لابد أن تخمد أكثر من ثورة حتى نستطيع نحن اليوم أن نقوم بكفاحنا مؤمنين بالنصر[1].

يتحدث فانون عن وجه الاستعمار الذي ظاهره رحمة وباطنه عذاب،بصورته المتجلية في فتح مناصب شغل وتحقيق الجماهير واتساع البطون إلى إظهار الحقيقة والتي نلمسها في سياسة الإسكات لأحزاب الوطنية والزَج في السُجون للشخصيات الوطنية، كل ذلك خدمة لأطماع الاستعمارية؛ فيرى فرانز أن الباحثين لم يوضحوا توضيحا كافيا إلى الآن كيف أن الاستعمار لا يكتفي بتكبيل الشعب ويكتفي بأن يفزع عقل المستعمر من كل شكل وكل مضمون ،بل هو يتجه أيضا إلى ماضي الشعب المضطهد فيحاول بنوع من فجور المناطق أن يهدمه وأن يشوهه وأن يبيده،إن هذه المحاولة التي يحاولها الاستعمار إذا يجرد تاريخ البلاد المستعمرة السابق على الاستعمار من كل قيمة،إنما تتخذ اليوم دلالتها الجدلية؛ فيقول "فانون"بصريح العبارة :"أدركنا أنه ما من شيء تم مصادفة وأن النتيجة الكلية التي ابتغتها السيطرة الاستعمارية هي أن تقنع السكان الأصليين بأن الاستعمار قد انتشلهم من الظلام، إن النتيجة التي سعى إليها الاستعمار سعيا واعيا هي أن يدخل في روع السكان الأصليين أن رحيل المستوطن الأوربي سيردهم إلى الهمجية والوحشية والحيوانية "[2].

ويكمل فانون في تحليله لهذا الفصل من كتابه "معذبو الأرض "مشيرا إلى ما يحدث في العالم العربي الذي شملته السيطرة الاستعمارية فيقول :"قد بذل الاستعمار في هذه المناطق جهوداً كبيرة من أجل أن يرسخ في عقول أهلها أنَ تاريخهم السابقّ على الاستعمار تاريخ

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق ،ص 178.

[2] نفسه ،ص ص 179-181.

تسوده الهمجية فيذكر أنّ ما رآه من كفاح التحرير القومي مصحوبا بظاهرة ثقافية تعرف باسم يقظة الإسلام فيقول:"رأينا الكتّاب العرب يتحمسون أشد التّحمس لتذكير شعوبهم بالصّفحات الرّائعة من تاريخهم،رداً على أكاذيب المستعمرين ،فهم يستعرضون أسماء عظماء الأدب العربي، ورأينا القادة العرب يحاولون بعث تلك الحضارة الشهيدة، حضارة الإسلام التي سطعت سطوعاً عظيماً في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر"، أمّا على الصعيد السياسي فيرى فانون :"أن الجامعة العربية[1] تحسد هذه الإرادة، إرادة بعث تراث الماضي ودفعه إلى الذروة، والأطباء والشّعراء العرب يتنادون عبر الحدود محاولين خلق ثقافة عربية جديدة، وحضارة عربية جديدة باسم الوحدة العربية ".كما لاحظ فرانز فانون أن "في العالم العربي يجسّد المفهوم الحقيقي للشّعور الوطني، وهذا ما احتفظ عليه حتى أثناء السيطرة الاستعمارية"[2]وحول فكر ونضال الحركات التحررية ،وضع فانون ملاحظات حولها بداية من الأخطاء التي ارتكبتها حركات التحرير التي اندفعت نتيجة عدم فهمها لتناقضات المنظومة الاستعمارية، وكذا وراء تقليد أشكال التنظيم الخاصة بالبلدان المصنّعة متجاهلة ضرورة الاندماج مع الجماهير الفلاحية والتّعبير عم مطامحهم

وفي المقابل فإن نموذج المناضلين الحضريين الذين التحقوا بالرّيف تمثله سيرة المناضلين الجزائريين الذين تعرف عليهم، إذ يقول في هذا الصدد :"أنّ المناضل الوطني الذي يقرّر أن يضع مصيره بين جماهير الفلاحين بدل أن يلعب لعبة الإستخباء مع رجال الشّرطة من المدن الحضرية لا يسخرّ أبداً؛ إذ يكتنفه الرّداء الفلاحي ويلفّه بعطف وحزم لا مثيل لهما..."([3]).[4]

---

[1] الجامعة العربية :تأسست في 22مارس1945م،مقرها الرّسمي بالقاهرة، وهي منظمة تضّم دول في المشرق الأوسط وإفريقيا ،ينصّ ميثاقها على التنسيق بين دول الأعضاء في شتى الشؤون (اجتماعية ،اقتصادية ،ثقافية،ودينية)،(أنظر إلى:جامعة الدّول العربية، البوابة الإلكترونية لجامعة الدّول العربية ،القاهرة 2001،ص02).

[2] فرانز فانون، المصدر السّابق، ص184.

[3] إنّ صلب نظرية فانون تتلخّص في أنّ الطبقة الثّورية الأصلية هي" طبقة الفلاحين الفقراء"،ضحيّة عملية الإفقار التام ،فهذه الطبقة تتألف (حسب منظور فانون)من رجال ونساء ذوي أحاسيس ومفاهيم اجتماعية ثورية وهم فئة متلاحمة ،تتمسك بقيمها الخلقية ،وتكرّس نفسها لخدمة الشعب ؛(للمزيد انظر إلى :ديفيد كوت، المصدر السّابق، ص130).

[4] فرانز فانون ،معذبو الأرض، المصدر السابق، ص16.

بعدما أشار فرانز فانون في كتابه إلى "الثقافة القومية" و "كفاح التحرر"، هاهو في فصل من فصوله يجمع لنا "الأسس المشتركة بين كلاهما"،"بين الثقافة القومية وكفاح التحرر" فيقول:

"...إن السيطرة الاستعمارية التي تتصف بأنها شاملة كلية لم تلبث أن هدمت الوجود الثقافي للشعب المستعمر ،فإنكار الواقع القومي ،وإقامة علاقات حقوقية جديدة، ونبذ السكان الأصليين وعاداتهم ، وتجريد الأهالي من أملاكهم ،واستعباد الرجال والنساء استعباد منظما، هذه الأمور كلها عمد إليها الاستعمار قد أتاحت ذلك الإحماء الثقافي شيئا بعد شيء؛ إن الثقافة الوطنية كما يشرحها "فانون" هي في ظل السيطرة الاستعمارية ثقافة مجددة تابع الاستعمار تحطيمها متابعة منظمة، وسرعان ما تصبح مضطرة إلى التخفي والسرية، حتى لنلاحظ معنى السرية للخضوع فالمستعمر يرى في الاستمرار على الأشكال الثقافية التي يستنكرها مظهرا قوميا عليه أن يحابه.

ويضيف قائلا حول الثقافة الوطنية التحررية :"إن إفقار الشعب، واضطهاد الأمة، ومنع الثقافة شيء واحد، إننا لا نرى بعد قرن من السيطرة الاستعمارية، إلا ثقافة مجمدة متحجرة، إن بين نضوب الواقع القومي واحتضار الثقافة علاقات ارتباط متبادل. فكيف تطورت هذه العلاقات أثناء كفاح التحرر؟؛ إن ما يعمد إليه المستعمر (فرنسا)، من إنكار للثقافة القومية، واحتقار لكافة المظاهر القومية أو الحركية أو الانفعالية، يساهم في توليد سلوك هجومي لدى المستعمر(الجزائر) ويستمر الاستغلال الاستعماري، ويستمر بؤس الشعب وجوعه فيضطر الشعب الجزائري شيئا بعد شيء إلى الخضوع لكفاح صريح منظم، ويشعر الشعب أنه لابد من معركة حاسمة، فيأتي هذا كله فيغذي روح القتال ويرقى بالوعي الشعبي ويقويه.[1]

ويرى فانون أن للثقافة القومية مساهمة كبيرة في الكفاح الوطني، وأن الوعي القومي يتجسد كذلك في أدب الروايات والحكايات وحتى الأغاني الشعبية التي تجعل الأنفاس المترجعة في الصدر إيقاعا جديدا وتوقظ العضلات النائمة من سباتها، ويشيد كذلك على أن

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص ص،205-206.

الرقص والاحتفالات الدينية التقليدية، شكل من أشكال الوعي القومي الذي يعبر بها الشعوب عن مدى تطلعهم إلى التحرر، فثمة أشكال من التعبير لا عهد لها من قبل، وثمة موضوعات جديدة مزودة لا بقدرة على الإهانة فحسب، بل أيضا على تجميع الصفوف وتحريضها، هذا كله يساهم في إيقاظ حساسية المستعمر، وفي جعل مواقف التأمل ومشاعر الإخفاق شيئا مضى زمانه لا يقبل؛ وحوله يقول:"إن المستعمر حين يحدد أغراض وحركة الحرفة والرقص والموسيقى والأدب إنما يعيد بناء إدراكه للعالم في نظره طابع اللعنة، وتتجمع عندئذ الشروط لخوض المعركة التي لا بد من خوضها "، ويواصل في نفس السياق:"إنه من الأخطاء الفادحة، والتي يصعب الدفاع عنها من جهة أخرى أن نحاول تحقيق تجديدات ثقافية، وأن نحاول رد الاعتبار والقيمة إلى الثقافة الوطنية، ونحن ما نزال في ظل السيطرة الاستعمارية؛ إذ يرى أنه مادام الوضع الاستعماري قائما فالثقافة تنصب وتحتضر لأنها تكون محرومة من ركيزتها (الأمة والدولة)، وعلى ذلك فإن التحرير القومي وانبعاث الدولة شرط لوجود الثقافة.[1]

إن فانون في هذا الفصل وما كتبه بتعابير (عامة)، لا يشرح جوانب هذه المعركة الثقافية أو تلك التي تناسب هذا الشعب وذاك، لكنه يؤكد على دور الوعي الجماعي المتأصل في تاريخ كل شعب.

فيطرح "فرانز" تساؤلا: ما إن كان كفاح التحرير ظاهرة ثقافية؟ ليجيب عن هذا الطرح في عدة صفحات من كتابه هذا بوجهة نظره:"أن الكفاح التحرري يكون ظاهرة ثقافية إذ ما كان كفاحا منظما واعيا، يخوضه شعب من الشعوب لاسترداد سيادة الأمة (كفاح الشعب الجزائري في الثورة التحررية مثلا)، فيقول:" ليس نجاح الكفاح وحده، فهو الذي يهب للثقافة قيمة وصدقا وقوة، بل إن معارك الكفاح نفسها تنمي في أثناء انطلاقها مختلف الاتجاهات الثقافية، وتخلق اتجاهات ثقافية جديدة، فالكفاح لا ينيم الثقافة أثناء اندفاعه، وكفاح التحرير لا يرد إلى الثقافة الوطنية قيمتها القديمة وأطرها، إن التحرر بالكفاح لا يزيل الاستعمار فحسب بل يزيل المستعمر أيضا.[2]

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص ص 211-212.

[2] نفسه، ص ص 211 - 212.

إذن فالتحرير القومي (على حسب رأي فانون)، لا يبتعد بنا عن الأمم الأخرى،بل إنه هو الذي يجعل الأمة حاضرة على مسرح التاريخ،ففي قلب الوعي القومي إنما ينهض الوعي العالمي ويحيا، وليس هذا البزوغ المزدوج في آخر الأمر إلا بؤرة كل ثقافة.[1]

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق ، ص 215.

فكر فانون حول نتائج الاستعمار:

وفي هذا الفصل المعنون بـ: "الحرب الاستعمارية والاضطرابات النفسية"، والتي تأتي لتدعيم معطيات فانون في الفصول السابقة، ويلخص لنا فيها أن الممارسات التي قام بها المستعمر خلقت آثار على جميع الأصعدة، ولعل ما يهمنا نحن هو الأثر النفسي الذي عانى منه الشعب الجزائري، وهو ما احتك به فرانز فانون أثناء ممارسة مهامه على مستوى مصلحة الأمراض العقلية بالبليدة –أ ومن خلال نضاله الثوري في صفوف "ج.ت.و"، وحيث توقف مطولا عند هذه النتيجة التي يقول حولها :

" ... لم يكن الأمر مرهونا بنا إن أمراضا عقلية واضطرابات نفسية في السلوك قد ازدادت لدي الذين « يعرضون السلم »، أو على الذين يعرض عليهم هذا السلم، والحقيقة إن الاستعمار في جوهره كان قبل ألان يصدر لمستشفيات الأمراض العقلية كثيرا من زبائنها، وقد لفتنا نظر علماء الطب العقلي الفرنسيين والعالميين، منذ عام 1954م في بحوث علمية مختلفة، إلى صعوبة «شفاء»مريض من المستعمَرين شفاءً سليما، أي جعله متجانسا تجانسا تاما مع بيئة اجتماعية من الطراز الاستعماري[1].

يضيف قائلا: "لقد ظل الفرنسيون في عهد الاحتلال الألماني بشرا، وظل الألمان في عهد الاحتلال الفرنسي بشرا، أما في الجزائر فليس هناك سيطرة و حسب، وان هناك عزم على أن لا يتناول الاحتلال في آخر الأمر إلا أرضا"، ويواصل تحليله في نفس السياق قائلا: "ان مرحلة الاستعمار الذي لا يستنكره نضاله مسلح حين يتجاوز مجموع التهيجات الضارة حدا معينا، تنهار المواقف الدفاعية للمستعمرين فنجد عددا كبيرا من هؤلاء في مستشفيات الأمراض العقلية، وهذه الإمراض يحدثها الاستعمار إحداثا مباشرا"؛ ويقول فانون متما لكلامه حين تحدث عن حرب التحرير: "اليوم أصبحت ج.ت.و والتي يخوضها الشعب الجزائري منذ سبع سنين، لانها حرب كلية لدى الشعب، أصبحت هذه الحرب تربة صالحة لانطلاق للاضطرابات العقلية، ونحن ذاكرون هنا عددا من الحالات هي حلات مرضى

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 217.

جزائريين وأوروبيين عالجناهم، ومن نوافل القول أن نذكر أننا لا نقدم إلا عملا علميا، فنحن نتحاشى كل مناقشة في الأعراض أو التصنيف أو العلاج (على لسان فانون)[1].

نحاول التأكيد أن الاضطرابات النفسية والعقلية التي عانى منها الجزائريون والتي لا يمكن إحصائها، بل هي نماذج فقط من الممارسات الوحشية للمستعمر الفرنسي، فهاهو يسرد لنا نماذج من هذه الحالات أين حاول فانون الربط بين مهامه النبيلة والتزامه السياسي لـ ج.ت.و .

الحالة 1: اندفاعات إلى القتل غير متميزة لدى شخص نجا من الموت أثناء "الإبادة الجماعية"[2]:

يقول فانون:" (س) شخص عمره 37 سنة، فلاح يسكن في قرية من مقاطعة قسنطينة، أصبحت منطقته منذ بداية حرب التحرير ميدان معارك عنيفة بين القوى الجزائرية والجيش الفرنسي، وبذلك أتيح له أن يرى قتلى وجرحى؛ وكان الفلاحون في القرية يساعدون المقاتلين الجزائريين المارين ولكن في ذات يوم من أوائل 1958م، أقيم كمين في مكان غير بعيد عن قريته، نشأ عنه سقوط قتلى، فقامت القوى الفرنسية بحملة عسكرية وحاصرت القرية، فجمع سكانها جميعا فاستجوبتهم، فلم يجبهم احد بشيء، فأخذ الجنود الفرنسيون يحرقون البيوت ويضربون بأعقاب البنادق الناس اللذين يحاولون التقاط بعض الملابس أو إنقاذ المؤن، ففر الشخص (س) بعدما أصيب برصاصتين أجازت إحداهما فخذه، والأخرى ذراعه فأغمي عليه".

ويضيف فانون متما لكلامه: "بعدما أفاق من إغمائه، وجد نفسه وسط جماعة من ج.ت.و فعالجته مصلحة الصحة، فهموا بنقله أثناء الطريق كان سلوكه يزداد شذوذا شيئا

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 219.

[2] يعترف القائد السفاح « سانت ارنو » في مذكراته لحرب الإبادة الوحشية التي كان يشنها ضد الشعب الجزائري فيقول: "كنا نبيد كل شيء نقتل السكان، نحرق وندمر المساكن والأشجار، ويقول المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان": « لم يكونوا يغزون البلد في الخفاء يقتلون الأعداء وهم يلقون البيانات المتبعة بالروح الإنسانية، بل كانوا جميعا يعتزون، ويفاخرون بما فعلوا » (ينظر إلى: محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، ط 1، دار هومة، الجزائر 2012 ص ص 198-199).

فشيء، كان يطالب ببندقيته، وكان يرفض السير أمام أي شخص كان، ولا يريد لأي شخص أن يسير أمامه، فيكمل فانون في وصفه لحالة الشخص (س)، انه في إحدى الليالي استولى على سلاح احد المقاتلين، وأخذ يطلق الرصاص على الجنود النائمين، حتى جردوه من سلاحه بقسوة، وكبوا يداه[1].

فيضيف فرانز محللا لحالة الشخص (س) ..."لا يعاني حالة خوف، وأنه مفرط في التهيج مع فترات من اضطراب شديد مصحوب بعويل نتيجة التعذيب الذي شهده في قريته، وبعدما شرع فانون في معالجة الشخص (س) صرح بقوله: «... كنت أجاهد لأخفي عنهم كل شيء، أن بسننا فرنسيين ولكنهم فرنسيون متخفون يتظاهرون انهم عرب، يجب قتلهم جميعا، أعطي مدفعا رشاشا جميع هؤلاء الذين تظنونهم جزائريين إنما هم فرنسيون ....»[2].

الحالة (2) : تبدلات عاطفية عقلية واضطرابات بعد التعذيب :

وفي هذه السلسلة جمع فانون المرضى الذين ظهرت اضطراباتهم بعد التعذيب أو إثناءه، وصنفها إلى فئات، إذ انه أدرك انه كل طريقة من طرق التعذيب نماذج مرضية خاصة، بغض النظر عن كون إصابة الشخصية قوية أو عميقة.

الفئة 1: بعد التعذيب العام الذي يسمونه تعذيبا وقائيا:

يشير "فانون" هنا إلى الطرائق الوحشية التي لا يقصد منها ان تكون تعذيبا ما يقصد منها أن تجبر المُعذَب على الكلام. أن التعذيب المحكم لا يستعمل في هذه الحالة، وإنما بعمد المعذبون إلى هجوم كبير ومتعدد الأشكال : فيكون هناك عدد من رجال الشرطة يضربون السجين في آن واحد، يطوقه أربعة منهم ويرشقونه بالضرب، بينما يحرق واحد صدره بالسيجارة ويضرب آخر راحة قدميه بعصا، ثم يضيف فرانز متمما كلامه ... بعض طرائق التعذيب المستعملة في الجزائر قاسية قسوة خاصة، وقد حدثنا عنها أشخاص استعملت في تعذيبهم: مثلا كحقن الشخص بماء عن طريق الفم مع غسل بماء قوي الضغط

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 226.

[2] نفسه، ص 227.

فيه الصابون، وجلهم من الجزائريين المدنيين غير المنخرطين في منظمات، الذين يعتقلون ويقادون الى مراكز الشرطة، ومزارع الاستجواب ليستنطقوا[1].

الفئة 2: بعد التعذيب بالكهرباء[2]:

أدرج "فانون" في هذا الجزء فئة من المواطنين الجزائريين الذين عذبوا خاصة بالكهرباء والواقع أن الكهرباء كانت في السابق وسيلة في جملة وسائل التعذيب ثم أصبحت ابتداءً من شهر سبتمبر 1956م الوسيلة الوحدة في بعض الاستجوابات.

-ذعر فضيع من الكهرباء: يكون لدى الشخص الذي عذب بالكهرباء على حسب تحليل "فانون"، خوف من ملامسة المفتاح الكهربائي، خوف من إشعال الراديو و التلفزيون، يستحيل على الطبيب استحالة مطلقة ان يذكر لهم ذكرا عارضا انه من الممكن ان يعالجوا بصدمة كهربائية[3].

الفئة 3: بعد غسل الدماغ :

لقد تحدث الناس كثيرا في هذه الفترة الأخيرة عن التأثير السيكولوجي الذي تعتمد إليه السلطات الفرنسية في الجزائر، ولا نريد هنا أن ندرس الطرائق دراسة نقدية (على حسب فانون)، اكتفت بالإشارة إلى نتائجها ناحية الإمراض العقلية، أن هناك فئتين من مراكز التعذيب بواسطة غسل الدماغ في الجزائر، فئة المثقفين وغير المثقفين[4].

نشرع اولا في تحليلنا لفئة المثقفين :

أ- **للمثقفين :**

يرى فانون أن المبدأ هنا حمل السجين على أن يلعب دورا مثلا :

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ، ص 246.

[2] التعذيب بالكهرباء: يمدد المتهم عاريا على طاولة العمليات، وتقيد رجلاه و يداه ثم يفرغ على جسمه وعاء من الماء ليهيم التيار الكهربائي عن إرساله، وهناك يسلط التيار على الأعضاء الحساسة من جسم الرجل أو المرأة المعذبة، وهي الأذنان واللسان و الأعضاء التناسلية والنهدان، وتبغ الآلام درجة من الشدة تجاوز كل وصف. (ينظر إلى: محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 142).

[3] نفسه، ص248.

[4] نفسه، ص 250.

-أن يطلب إلى السجين أن يمثل دور المتعاون مع الفرنسيين، مبررا هذا التعاون، وبذلك يضطر إلى أن يعيش حياة مزوجة لأنه وطني معروف بأنه كذلك، والهدف من هذا على حسب "فرانز" هو أن يهاجموا عناصر الشعور القومي من الداخل، فالسجين ليس عليه أن يتعاون مع الفرنسيين، وإنما يطلب منه أن يناقش المعارضين أو المتمردين «بحرية».

1- يطلب من السجين أن يكتب دراسات عن قيمة المهمة التي تحققها فرنسا، على أن الاستعمار يقوم على أسس صحيحة.

2- يطلب إلى السجين أن يتناول حجج « للثورة الجزائرية » بالتفنيد و النقص واحدة مثلا : "ليس هناك شعب جزائري" - "الفلاحون أناس طماعون، مجرمون"، "الجزائر ليست امة". وبعد هذا كله تقدم له علامات وهي مكافئات، تجمع في آخر كل شهر، تكون علامات تقدير لخروج المثقف من السجن أو عدم استحقاقه[1].

ب- لغير المثقفين:

أما هذه الفئة فيركزون فيها على الجسم ليتهدم عنهم الشعور القومي :

عليه أن يعترف بأنه ليس من جبهة التحرير الوطني، وان يقول بصريح العبارة: لتسقط جبهة التحرير الوطني، وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة أخرى: مستقبل الجزائر فرنسي وبدون فرنسا تعود الجزائر إلى القرون الوسطى، عاشت فرنسا[2].

وبعد هذا التعذيب الممارس من قبل الاستعمار، و بالإضافة إلى الاضطرابات العقلية، نجد الاضطرابات النفسية الجسمية، فكقول "فرانز فانون" بهذا الشأن: "إن الحرب الاستعمارية في الجزائر لم تكثر من الاضطرابات العقلية فحسب، ولا سهلت نشوء ظواهر مرضية خاصة فحسب، وإنما هناك عدة أمراض تصيب المعذب، وهي ناشئة عن الجو العام، تجعل الأطباء عامة يقولون حين يرون مريضا لا يفلحون في فهمه: « كل هذا سينتهي بانتهاء هذه الحرب المقدسة»[3].

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص ص 251 - 252.

[2] نفسه، ص ص 253 - 254.

[3] نفسه، ص 245.

وهذه الاضطرابات النفسية والجسمية التي تنجر عنها حالات مرضية ذكرها "فانون" بتحليل و شرح مفصل كانت تقرحات في المعدة، اضطرابات الطمث لدي النساء، وحالات إرتعاشات قائمة بذاتها، حالات إبيضاض في الشعر في سن مبكرة، نوبات تسارع مفاجئ في خفقات القلب، وأخيرا أشار إلى حالة تقيض عام و تصلب عضلي وبالتالي يقر فانون أن الاستعمار الفرنسي لم يفكك شخصية الشعب الجزائري فحسب، وإنما جعل هذا التفكك واضح أيضا على الصعيد الجماعي في مستوى البنيات الاجتماعية، فإذا الشعب المستعمر ليس إلا مجموعة من الأفراد تستمد أساسها من وجود المستعمر لا غير[1].

وفي خاتمة قوله و فصله هذا راح يذكر ما عايشه في السنوات الأخيرة من حياته، ويخطها على صفحات كتابه ليشهد عليه التاريخ على نضاله، وعلى الجزائر التي أعطت فلذات أكبادها من اجل الكرامة والحرية والاستقلال.

فيقول: "لقد أتيح لي في هذه السنين الأخيرة أن أرى أن الشرف والتضحية بالنفس وحب الحياة، وكره الموت، إن ذلك كله يكتسي في الجزائر المقاتلة صورا فذة.

ولست أتغنى هنا بالمقاتلين، ولكنها حقيقة ظاهرة لمسها اشد الاستعماريين حنقا، وهي إن للمقاتل الجزائري طريقة فذة في القتال وفي الموت. ولا يمكن أن ترجع إلى الإسلام والى الجنة الموعودة، تلك التضحية السخية بالنفس التي يقدمها المقاتل الجزائري حين يكون عليه ان يحمي وطنه أو يفدي إخوته. وما قولك في ذلك الصمت الساحق – الجسم يصرخ طبعا! – ذلك الصمت الذي يسحق المعذب؟، إننا نرى هنا ذلك القانون القديم جدا الذي يحرم على عنصر ما من عناصر الوجود أن يظل ساكتا بينما الأمة تسير، بينما الإنسان يطالب بإنسانيته اللامحدودة ويؤكد هذه الإنسانية في الوقت نفسه[2].

ويكمل "فرانز فانون" حديثه عن الخصائص التي زعم الاستعمار أن الشعب الجزائري يتصف بها، وتحدث كذلك عن ميله المذهل للإجرام، فيقول مؤكدا كلامه: "لقد اجمع القضاة، ورجال الشرطة والمحامون والصحفيون والأطباء الشرعيون، اجمعوا قبل عام

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق ، ص 258.

[2] نفسه ، ص ص 259 – 260.

1954م، على ان استعداد الجزائري للجريمة، وأنشئوا لها نظرية وجاءوا ببراهين علمية! وظلت هذه النظرية تدرس في الجامعات لأكثر من عشرين عاما[1].

وتحدث فانون عن الجرائم التي كان يقوم بها الجزائريون والتي أتت عمليا تحدث في دائرة مغلقة إذ أصبح الجزائريون يسرقون بعضهم بعضا، ويقتلون ويهاجمون بعضهم البعض كذلك، في سبيل رطل من الدقيق أو كسرة خبز[2]، لذا انتشار الجريمة في الجزائر تؤول تأويلا جديدا بوجود الاستعمار، وشناعته، وما كان يمارسه على الشعب الجزائري، من تنكيل و تعذيب و تجويع.

يرى فانون أن ما يسند إلى الجزائري من ميل إلى الجريمة، ومن عنف في القتل، ليس إلا ثمرة بنيان جَمَلَتْهُ العصبية، ولا هو صفة أصلية من صفات طبعه وإنما هو نتيجة مباشرة للوضع الاستعماري، ويذكر أيضا أن هذه المسألة ناقشها المناضلون الجزائريون، ولم يهابوا أن يعيدوا النظر في الاعتقادات التي ألقاها الاستعمار في روعهم، وأدركوا أن كل واحد منهم كان ستار للآخر، ثم يكمل في سياق كلامه هذا "... أعود فقول أن الهدف الأول الذي يجب أن يسعى إليه المستعمر المقاتل هو أن يقضي على السيطرة و لكن عليه أيضا أن يحرص أشد الحرص على إزالة جميع الأكاذيب التي غرسها الاضطهاد في جسمه[3].

ويقول أيضا: "إن الأفكار التي كانت يعلنها الاستعمار في ظل نظام استعماري كالنظام الذي كان قائما في الجزائر، لم يؤثر على الأوروبي فحسب بل أثرت أيضا في الجزائري.

فالتحرير الشامل هو التحرير الذي يشمل جميع قطاعات الشخصية. وان ما يقوم به المجاهد من نصب للكمائن و مهاجمة الدوريات، وما يلقاه إخوته من تعذيب وتقتيل، ذلك كان يرسخ عزمه على الانتظار" ويختم كلامه في هذا الصدد بقوله: "ليس الاستقلال كلمة تقال، وإنما هو الشرط الذي لابد منه لوجود أولئك الرجال و النساء المتحررين حقا، اعني المالكين لجميع الوسائل المادية التي تتيح لهم أن يبدلوا المجتمع تبديلا جذريا[4].

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 260.

[2] نفسه، ص 271.

[3] نفسه، ص 272.

[4] نفسه، ص 273.

وتأتي خاتمة كتابه هذا " معذبو الأرض" الذي كتبه في آخر أيام حياته كنداء رائه للتحرر من الأنماط الغريبة: « أنه يجدر بنا أن نقرر منذ الآن الانتقال إلى الضفة الأخرى، الليل الطويل الذي كنا غارقين فيه يجب أن نهزه وان نخرج منه. النهار الجديد الذي اخذ يطلع يجب أن يجدنا حازمين واعيين قد عزمنا أمرنا»[1].

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المصدر السابق، ص 275.

المبحث الثالث : لأجل الثورة الإفريقية.

بقي اسم فانون مدونا في مؤلفات كثيرة ، وكتابه الموسوم ب "أجل الثورة الإفريقية" يعد من أبرز إسهاماته في الثورة الجزائرية ، والتي كانت عبارة عن مجموعة من النصوص والمقالات التي نشرت في مجالات متعددة في السابق، منها ما ورد في جريدة المجاهد خلال الثورة التحريرية وبعد جمعها بحسب تاريخها الزمني أبرزت هذه النصوص وحدة حيوية مدهشة ، تشكل اليوم دليلا أكثر تفصيلا لفكرة "فانون" الذي مشى في الطريق الثوري ، وطرح مسألة المستعمر وحاول إيجاد حل لها وهذا ما سنحاول التعمق فيه من خلال العناوين التي عالج فيها "فرانز" قضايا الثورة الجزائرية. ففي فصله الثالث من الكتاب الذي عنونه بـ: من أجل الجزائر.

تضمن هذا القسم والمعنون بـ"رسالة إلى فرنسي"[1] الرسالة التي أرسلها فرانز فانون إلى الوزير المقيم بالجزائر لا كوست سنة 1956 والتي تحتوي على استقالته من منصبه كطبيب بمستشفى البليدة .

أما في الفصل الرابع من الكتاب والمعنون بـ " نحو تحرير الجزائر" تحدث فيه فانون عن "جنيات الاستعمار الفرنسي وأوهامه " حيث يقول فانون حول الموضوع : " منذ عشرين سنة والشعوب المستعمرة تفكك السيطرة الأجنبية وتمكن نفسها على الساحة العالمية واحدة تلو الأخرى وبطرق مختلفة تنسحب الدول المستعمرة من ممتلكاتها ، وتسمح حدة الحرب الفرنسية الجزائرية وأبعادها كافة برؤية محاولات فرنسا للحفاظ على سيطرتها بصورة إجمالية وذلك بسبب فشلها المتكرر، ويصيف فانون في نفس الصدد على أن خطة البلدان المستعمرة الأولى تقوم على الاعتماد على المتعاونين الرسميين والإقطاعيين فيجري اختيار [2]جزائريين معروفين بشكل خاص بتنازلاتهم العديدة للمستعمر ويتم جمعهم ويطالب منهم أن يدينوا علنا " ذلك التحرك المتمرد الذي يعكر سلام المدينة ." إن فانون في هذا الجزء تطرق إلى فشل السلطات الاستعمارية في تعبئة خدام لها من الشعب حيث بدلوا في رفض الدعوات وتفادي

[1] أنظر إلى الملحق رقم (01).

[2] نفسه، ص 75-76.

حضور المسرحيات الرسمية حيث اتضح التزامهم الثوري وتنبه المتعاونون أكثر إلى يقظة الشعب المسلح الهائلة.

كما تحدث فانون أيضا عن الأساليب التي استعملتها الإدارة الفرنسية كخطوة ثانية لها وهي استغلال الأقليات في الجزائر من أجل زرع صراعات عرفية في بعض الأحيان ، فبعد فشل جميع الإغراءات التي قامت بها فرنسا لجأت الآن إلى التفرقة في الداخل وذلك لإثارة الشعب ضد ثورته.[1]

بالرغم من محاولات فرنسا المستمرة في تفكيك وحدة الشعب الجزائري إلا أن هذا الأخير كما يقول فانون :" إن الشعب الجزائري على رأي واحد منذ ثلاث سنوات ، ذلك لأن شعاره واضح وبسيط بشكل غير اعتيادي ".

فجبهة التحرير لم تكن تمثل مجموعة من المصالح، كانت تمثل المجلس القيادي لأمة تكافح لنيل استقلالها وحريتها.[2]

2- الجلادون الفرنسيون وحرب الجزائر:

في هذا القسم من كتابه أكد فانون على أهمية المجهدات التي قامت بها الثورة خلال ثلاث سنوات منذ انطلاقها وأيضا تحدث عن أهمية الرسالة التي تحملها الثورة الجزائرية ، فلقد وضعت الثورة نصب أعينها تحرير الأراضي القومية ، وأيضا تهدف إلى القضاء على الاستعمار حيث يقول فانون في هذا الصدد : " إن الثورة الجزائرية ، إذ تضع نصب عينيها تحرير الأراضي القومية ، تهدف إلى القضاء على المنظومة الاستعمارية وإنشاء مجتمع جديد ."[3]

إن تحرير الأراضي الجزائرية يعد هزيمة للعنصرية وأيضا هزيمة لاستغلال الإنسان .[4]

وفي نفس الجزء لكن تحت عنوان آخر وهو " التناقض الحقيقي " تحدث فانون عن الأهمية الكبيرة التي تحتلها الجزائر حيث يقول في هذا الصدد :" إن فرنسا تعلم جيدا الأهمية

---

[1] فرانز فانون، من أجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص 76-77 .

[2] نفسه، ص ص 81- 82 .

[3] نفسه، ص 83 .

[4] نفسه، ص84 .

التي تحتلها الجزائر من بين الدول التابعة لنفوذها الاستعماري ، إذ لا شيء يمكن أن يفسر إصرار فرنسا على احتلال الجزائر وجهودها المضنية في سبيل الإبقاء عليه.

إن وجود الجزائر على مقربة من فرنسا يكشف للعالم الغربي بالتفصيل تناقضات الواقع الاستعماري، فالتعبئة التي قامت بها فرنسا والدعوات التي وجهتها إلى الفرنسيين من أجل بذل المزيد من التضحيات ، وفرض الضرائب وتجميد الأجور، كل هذا يشكل تورطا واضحا للأمة الفرنسية في حرب همجية كان هدفها الإبقاء على الاستعمار.[1]

كما حمل هذا الجزء من الكتاب عنوان آخر هو:"التنكيل ضرورة أساسية عند العالم الاستعماري " تطرق فانون هنا إلى ما مارسه الاستعمار من تعذيب في حق الجزائريين فلقد تحدث عنه الناس بكثرة ونشرت نصوص كثيرة عنه ومرعبة في نفس الوقت ، كما نددت شخصيات أجنبية ومن بينها شخصيات فرنسية هذه الممارسات الوحشية. إن" فرانز فانون" يعتبر أن التنكيل شرط من شروط العلاقة بين المغتصب والمحتل.

<u>التعذيب أسلوب حياة</u> :

هو عنوان أخر في هذا الفصل من الكتاب تطرق فيه إلى حالات كثيرة ظهرت في وسط رجال البوليس منها اضطرابات عقلية ، ففي الفصل الأول من عام 1956 عثرت الحالات النفسية الى درجة الوصول إلى الجنون.[2]

ويقول فانون هنا بأن الاضطرابات التي كان يتعرض لها رجال الشرطة الفرنسيون في أوساطهم العائلية مثل تهديد نسائهم بالموت ويمارسون العنف على أطفالهم والمشاجرات مع زملائهم والتهاون أثناء الخدمة استلزمت في مرات عديدة العناية الطبية النفسية.

فانتشار جبهة التحرير الوطني على كامل رقعة أرض الوطن كان يطرح على رجال الشرطة الفرنسيين مشاكل يصعب تخطيها.[3]

---

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص ص 84-85

[2] نفسه، ص ص 85-86

[3] نفسه، ص 87.

التهرب من المسؤوليات :

في هذا الجزء من الفصل تحدث فانون عن الأكاذيب التي طالت أعمال التعذيب التي يقوم بها الفرنسيون ، فالإدارة الفرنسية ألقت المسؤولية بأكملها على عاتق العناصر الأجنبية التي تخدم في الجيش الفرنسي. ويظهر هنا التناقضات التي وقعت فيها الحكومة الفرنسية حول من سيتحمل مسؤولية التعذيب. لينتهي الأمر بإلقاء فرنسا المسؤولية على عاتق العناصر القديمة في المخابرات، والتصريح بأن من يقوم بالتعذيب هم الألمان والايطاليين والسبب في ذلك أنهم جنود المرتزقة.

ويقول فانون أيضا بأن هؤلاء الجنود تركوا صفوف الجيش الفرنسي والتحقوا بجيش التحرير الوطني، حيث يقول في هذا الصدد : "تحدثنا مع العشرات منهم قبل عودتهم الى أوطانهم وبدا لنا أن هؤلاء المرتزقة القدامى متفقون على أمر واحد وهو أن وحشية القوات الفرنسية وسادتها مرعبتان".

ومن هنا نستنتج بأن التعذيب حقيقة أراد الاستعمار أن يخفيها وأن يلصقها بالجنود الأجانب الذين فروا من جراء فضاعة التقتيل الذي مارسه الاستعمار، فلقد نقل لنا فانون حقائق ما قام به الاستعمار ضد الجزائريين.[1]

منظري عقيدة التعذيب : لوفريدو وبودقان

الشرطيين الفرنسيين لوفريدو (المفوض في الجزائر العاصمة) وبودقان (رئيس الشرطة القضائية في البليدة) أوضحا بدقة لزملائهما وأصدقائهما المنخرطين الجدد في صفوف البوليس بعض مميزات أساليبهم في عمليات الاستنطاق التي كانوا يمارسونها ضد الموقوفين ولقد شرح لنا فانون بعض الأساليب التي مارسها هؤلاء الجلادون من تعذيب واستنطاق للجزائريين، حيث أصبح التعذيب عملا مشروعا وهدفا بحد ذاته ، فيقول فانون هنا : " لكي يكون النظام الاستعماري منطقيا مع نفسه ، عليه أن يتقبل بأن يكون التنكيل إحدى وسائله الأساسية ."[2]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص ص 88 – 89.

[2] نفسه، ص ص 89 – 90.

المثقفون الفرنسيون والصحافة الفرنسية:

في هذا الجزء من نفس الفصل تحدث فانون عن التقرير الذي قدمه السيد "مارتان شوفييه" (Martin chauffier) إلى رؤسائه والذي تضمن ما يشبه الموافقة على أعمال التعذيب التي تمارس بحق الجزائريين ، و يعترف هذا الأخير بأن الجرائم المرتكبة كانت تظل بعيدة عن الأضواء ، وبما أن هذه الجرائم لم تلقى عقابا رادعا فهي تشجع بالتالي على المضي بها . ولقد حدد فانون تواجد تناقض في هذا الموقف حيث يقول فانون : " إذ يبدو من خلاله أن السلطة الفرنسية العليا في الجزائر هي التي توافق على هذه الجرائم وتنصح بها وتشرعها، وان كل ما يزعم عن جهل السلطات العليا بمرتكبيها وبها لهو كذب والتباس واضحان ." ويصف فانون تصرف مارتان– شوفييه بالغير مفهوم لأن التعذيب في الجزائر أصبح عبارة عن انحراف سادي ."[1]

كما جاء أيضا على لسان السيد ج.م. "ماتي" (G.M.Mattei) الذي شارك في الحملات العسكرية الفرنسية على الجزائر مقالا في مجلة "الأزمنة المعاصرة" يقول فيه : " أذكرا بين الفينة والأخرى، عندما كانت السينما الجوالة تعرض للكتيبة فيلما مضجرا ، كان الجنود والضباط ينهضون من أمكنتهم ويذهبون بهدوء ليمضوا نهاية السهرة برفقة المساجين ...كانت موسيقى الفيلم تعلو على صوت الصرخات ...".

إن السيد "ماتي" يحتج في هذا المقال على الانتهاكات المتتالية للكرامة والشرف الفرنسيين فيقول : "أي جيل ينتظرنا في بؤرة الفساد التي هي الجزائر ؟ إن أخطر أمر يواجهنا هو ما سيؤول إليه هؤلاء الشباب بعد انقضاء اثني عشر شهرا على استدعائهم إلى صفوف جيش فرنسا الوطني والذين قضيت معهم ستة أشهر: لقد أصبحوا قراصنة حقيقيين".

كما تحدث فانون أيضا في هذا الجزء عن الإقصاء الذي تعرض له الإنسان الجزائري ، والتجاهل للإنسان المنكل به ، فالمواطن الفرنسي بات يتمحور كل همه حول ذاته ومجتمعه متجاهلا ما يعاني منه الآخرون. [2]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية ، المصدر السابق ، ص 91.

[2] نفسه، ص ص 91-92.

النظام موضوع مسألة :

يقول فانون هنا أن التعذيب والانتهاكات التي يقوم بها شرطي الاستعمار تندرج في إطار المؤسسة الاستعمارية وليست خارجة عن القانون، فأي شرطي يقوم بأعمال التعذيب يقول فانون أنه يظهر بذلك تفانيا حقيقيا للنظام، فكل فرنسي في الجزائر يجب أن يتصرف كجلاد لأنه إذا أرادت أن تبقى فرنسا في الجزائر فليس هناك حل أمامها إلا توطيد بنية عسكرية جبارة. إن الشعب الجزائري أصبح لا يناضل من ضد أعمال التعذيب لأن تاريخ فرنسا حافل بهذه الجرائم ولا يجهل الشعب الجزائري أن البنية الاستعمارية قائمة على التعذيب والاغتصاب والقتل.[1]

3- بخصوص مرافعة :

يتوجه أحيانا الديمقراطيون الفرنسيون إلى الشعب الجزائري طالبين منه ألا يدرج الشعب الفرنسي المؤلف من عناصر مختلفة في الخندق نفسه ويصب عليه غضبه واحتقاره ، وهنا يذكر أحد الفرنسيين بأن كل شيء في الجزائر يجري باسم الشعب الفرنسي حتى ولو كان حكم بالإعدام.

كما أعطى فانون مثالا عن الصمود وهي "جميلة بوحيرد"[2] حيث تحدث فانون عن شجاعتها وصمودها أمام حكم الإعدام الذي تقرر بحقها ، كما أن هذا الحكم كما يقول فانون لم يفاجئ الجزائريين وذلك لأنه لا توجد عائلة جزائرية لم تلبس الحداد على أحد أفرادها.

ان ما يميز الديمقراطيين الفرنسيين يقول فانون : "هو أنهم لا يدقون ناقوس الخطر إلا حين يتعلق الأمر بحالات فردية من شأنها أن تستدر دمعة من عيون أو تثير أزمات ضمير صغيرة ." وهنا يتابع فانون قوله بأنه هنا تكمن حقيقة التأخر التاريخي ليقظة الضمير

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الأفريقية، المصدر السابق ، ص ص 93-94.

[2] ولدت "جميلة بوحيرد "عام 1935 في حي القصبة بالجزائر ، انضمت إلى ج.ت.و وهي في العشرين من عمرها ، وعملت كفدائية في ذلك الوقت ، ألقي عليها القبض عام 1958 ، تعرضت لأبشع أنواع التعذيب من طرف الجيش الفرنسي حكم عليه بالإعدام ثم عدل الحكم ليصبح سجن مدى الحياة ، لتخرج من السجن بعد استقلال الجزائر سنة 1962 ، (للمزيد ينظر إلى: مجلة إفريقيا قارتنا ، ع الحادي عشر، مارس 2014، ص ص1-2).

الفرنسي ، فهو لم يتوصل بعد لأن يستأنف نضاله من أجل احترام الحريات الفردية وحقوق الإنسان.[1]

4- المثقفون والديمقراطيون الفرنسيون في مواجهة الثورة الجزائرية:

في هذا الجزء تحدث فانون عن واجبات المثقفين المندرجين تحت لواء العناصر الديمقراطية في البلدان المستعمرة في الدفاع دون تحفظ عن مطالب الشعوب المضطهدة والمستعمرة ومؤازرتها. وأيضا الاهتمام بأن تلتزم أنظمة الحكم التي ينتمي إليها هؤلاء المثقفون باحترام حقوق الشعوب في تقرير مصيرها. وقد أشار فانون في هذا الجزء الى أن اليسار الفرنسي قد نسى واجبه. وأنه تخلى عن دوره في تحضير الرأي العام. وهذا ما يجعله متواطئا مع المستعمرين.[2]

كما تابع فانون تفسيره حول وضعية اليسار الفرنسي حيث يقول :" إننا وجدنا أنفسنا أمام يسار حائر ومأخوذ على حين عزة متناقص في مواقفه وتسيطر عليه البلبلة ."[3]

و"القومية والبربرية" هو عنوان آخر في هذا الجزء من الكتاب تطرق فيه فانون الى ظاهرة العنصرية المتطرفة التي حاول المستعمر زرعها في أواسط الشعب المستعمر. ويقول فانون أيضا بأن الأمة الفرنسية أخذت على عاتقها بدءا من مارس 1956 حرب إعادة الفتح الاستعمارية ، فالأمة الفرنسية كانت مقتنعة بجدوى حرب الجزائر، لكن سرعان ما تغير الوضع بعد عام 1957 حيث التزم العديد من الديمقراطيين الصمت أمام صيحات الشعب الفرنسي الغاضب الداعية للثأر والانتقام.

أما الحجة الثانية التي تذرعت بها فرنسا هي مكافحة الإرهاب، حيث استغل الإعلام الفرنسي صورة لأطفال فرنسيين جرحى من أجل تشتيت القناعات المتصدعة أصلا وظهر مفهوم البربرية وأعلن بأن فرنسا تحارب البربرية في الجزائر.

كما تحدث فانون أيضا عن تراجع التأييد الفرنسي الشعبي لحرب الجزائر والسبب في ذلك هو أنها تكلف الدولة الفرنسية مليار ومائتي مليون فرنك فرنسي. ولأنها تجعل فرنسا

---

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص ص 95-96.

[2] نفسه، ص ص 100-101.

[3] نفسه ، ص 102.

معزولة على الصعيد الدولي، لقد نسي الفرنسيون أن فرنسا تحرم الجزائريين من حقوقهم وتقتل الآلاف، يقول فانون أيضا بأن التعامل في فرنسا مع الحرب أصبح وكأنها مرض ناتج عن النظام الفرنسي.[1]

في هذا الصدد تطرق "فرانز فانون" إلى حادثة اختطاف الطائرة التي كانت تقل الوفد الدبلوماسي لجبهة التحرير إلى المؤتمر المغربي، وأيضا إلى الفرحة التي أظهرها الفرنسيون فرحا بذلك الخبر، كما تحدث عن أحداث ساقية سيدي يوسف في 08 فيفري 1958 والتي أثارت موجة عارمة من الاستنكار في صفوف الشعب، كما تحدث عن الأحداث التي أعقبت تلك الحادثة في الجانب التونسي .[2]

إن هجومات ساقية سيدي يوسف أظهرت مدى وحدة وتضامن الشعبين الجزائري والتونسي، حيث قامت لجنة التنسيق والتنفيذ في جبهة التحرير الوطني بتقديم يد المساعدة وإرغام المحتل الفرنسي على الجلاء من الأراضي التونسية. ويقول "فانون" حول هذا الموضوع :" نؤكد إصرارنا على هذا العرض. ونعلن للشعب التونسي بأننا متضامنون معه في السراء والضراء وأن الدم المغربي سخي بما فيه الكفاية وأنه يهب نفسه بغزارة من أجل ألا يبقى في الجزائر وحتى سفاكس أي جندي فرنسي يمارس علينا التهديد والعذاب والقتل ."[3]

5- الملهاة المتنقلة :

يقول فانون :" منذ ما يقارب الشهرين ونحن نتفرج على المحاولة المجنونة التي يقوم بها الأنكلو- أمريكيون لتحويل مأساة ساقية سيدي يوسف وهي امتداد لمأساة الجزائر الكبرى، إلى ملهاة تمتزج فيها البذاءة بالعبث ."

لقد وضح لنا فانون في هذا الجزء كيف حاولت أمريكا وانجلترا التدخل في القضية التونسية ، كم تطرق إلى التنازلات التي قدمتها تونس لفرنسا وذلك تحت التهديدات الفرنسية بتوسيع دائرة العدوان .[4]

---

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق ، ص ص 103-105.

[2] نفسه، ص ص 131-133.

[3] نفسه، ص 136.

[4] نفسه، ص ص 137-138.

6- إزالة الاستعمار ثم الاستقلال :

استعرض لنا فانون في هذا الجزء من كتابه صمود الثورة الجزائرية في ظل التأييد اللا محدود للجيش الفرنسي ودعوات صريحة إلى مواصلة الحرب في الجزائر. ويقول فانون أيضا بأن مناضلي جبهة التحرير الوطني اكتسبوا ميزة جديدة في النضال ، فاللغة التي استعملتها ج.ت.و ومنذ أول يوم للثورة هي لغة مسئولة ، فالاستعمار استطاع أن يفرض نفسه كحقيقة وقتية فإنشاء المرسى الكبير ومطار بوفاريك لن ينسي الجزائريين في العنصرية المشرعة والأمية. إن التصريحات التي تدلي بها الجبهة لا تتعلق بالتكيف مع الاستعمار ، بل تتعلق باسترداد الأراضي الجزائرية .[1]

7- أزمة مستمرة :

ولقد استعرض فانون هنا عدم الاستقرار الحكومي في فرنسا والسبب في هذا التزعزع هو حرب الجزائر ، فحرب الجزائر استنفذت أموال كثيرة وأخلت أيضا بالتوازن الاقتصادي الفرنسي ، كما ذكر فانون أيضا موقف الأحزاب اليسارية وتفاوضها مع اليمين مما جعل هذه الأحزاب اليسارية تنصاع في الأخير للواقع المحتوم والاستجابة بصورة آلية لمطالب السلطة.

إن الاختلافات والانقسامات داخل الأحزاب الفرنسية فيما يتعلق بوقفها بحرب الجزائر جعل فرنسا تعاني نزاعات داخلية وخلافات أساسية. كما أشار فانون أيضا إلى أهمية الثورة على الصعيد الدولي والحماسة الهائلة التي أثارتها في البلدان الأفرو-اسيوية والملحمة الحقيقية التي يعيشها الشعب الجزائري منذ أربع سنوات منذ اندلاع الثورة.[2]

إن نضال الشعب الجزائري هو الذي أحدث تغيرات في الحياة السياسية الفرنسية فأعيدت صياغة وجهات النظر السياسية الفرنسية بفعل الاحتكاك مع هذه الإرادة الوطنية الجزائرية والشراسة تبديها في المطالبة بالاستقلال.[3]

---

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق ، ص ص140-143.

[2] نفسه، ص ص 150- 154.

[3] نفسه، ص 157.

8- رسالة إلى الشبيبة الإفريقية :

تطرق فانون في هذا الجزء إلى المجهودات التي قام بها الاستعمار الفرنسي لإبقاء على نفوذه في الجزائر، فالبرغم من زعزعة جدار نظامه جراء تحرير الهند الصينية وغيرها. إلا أنه يجب على الثورة أن لا تغرق في أوهام الوحش الاستعماري فهو لا يزال جبار. فالشعوب المستعمرة رسمت مصيرها بنفسها من خلال كل حركة وكل ثورة أشعلها المضطهدون وقادوها حتى النهاية.[1]

وفي نفس السياق وجه فانون رسالة الى شبيبة البلدان المستعمرة ودعاهم فيها الى ضرورة التعرف على قضيتهم وأن استقلالهم متعلق بما حصل في الجزائر. فجميع حركات تحرير الشعوب المستعمرة مرتبطة في الوقت الحالي ، مهما كانت جنسيات الأمم التي تحتلها ، بوجود الاستعمار الفرنسي. ويقول فانون أيضا بأن الاستعمار لن يختفي بسحر ساحر وأنه من العبث أن نأمل باختفاء تدريجي له.

كما طالب فانون في هذه الرسالة من شباب البلدان المستعمرة في افريقيا ان يضغطوا على أعضاء البرلمان لكي يجبروهم على التخلي عن مراكزهم في المجالس الفرنسية ويقول هنا : " حانت الساعة لكي يشارك جميع المستعمرين وبشكل فعال في حرب الاستنزاف التي تخوضها الأمة للقضاء على المستعمرين الفرنسيين ."[2]

9- حرب الجزائر وتحرير الإنسان :

إن الجهود العسكرية والاقتصادية والسياسية التي بذلتها فرنسا في حرب الجزائر لا يمكن تقديره موضوعيا إلا بمقارنته مع ما تبذله في سائر البلدان الإفريقية ، فالقضاء على ثورة الجزائر يقول فانون أنه كان يعني انتزاع النزعة الثورية بشكل كامل من إفريقيا. وأيضا إسكات لحركات التحرر التي كانت محتملة. إن التصريحات التي أعلنها الحكام الفرنسيون انتصارهم المحتوم على القوات الوطنية الجزائرية اجتمعت لإلحاق الهزيمة بالثورة الجزائرية ،

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص ص 159- 160.

[2] نفسه ، ص ص 162- 166.

لكن في كل مرة كانت الثورة الجزائرية تنهض متجددة،قوية العزيمة ويصف فانون ذلك بأنه كان كالمعجزة.[1]

لقد خلقت الجزائر نزاعا جديدا بالنسبة للاستعمار الفرنسي وأيضا مواجهة حاسمة مع الاستعمار وكانت امتحان عسير له ، ولهذا كانت القوات الفرنسية تتحرك بعنف وقساوة لمواجهة هذا النزاع.

إن حرب الجزائر قد أخلت بعمق التوازن الاستعماري في إفريقيا ، فالبلدان الإفريقية المحتلة أعادت النظر في خياراتها المستقبلية بعد انتصار الثورة الجزائرية .[2]

كما استعرض فانون المحاولات التي قام بها ديغول للدفاع عن الاستعمار الفرنسي في إفريقيا. حيث حاول هذا الأخير كما يقول فانون أن ينقذ المصالح الكولونيالية . فبعد إنشاء الدول المستقلة خرج الاستعمار الفرنسي ضعيفا. يقول فانون حول هذا : "لولا تدخل الجنرال ديغول لكانت الإمبراطورية الفرنسية تداعت في وقت قصير، يبدو الجنرال ، في الظاهر مسيئا للمسألة الكولونيالية أو مخلا بالتزاماته لكنه في الواقع المنقذ المؤقت لحقيقة كولونيالية معينة ."[3]

10- الجزائر في أكرا :

يقول فانون في هذا الجزء أن الوفد الجزائري قد لقي استقبالا حارا وحافلا في أكرا وذلك بسبب الأهمية التي تعقدها الشعوب الإفريقية على النضال الجزائري منذ سنوات.فالوجوه الكبيرة للثورة الجزائرية قد خلدوا أسمائهم في الملحمة الإفريقية ، وكان من الملاحظ تضامن الشعوب الإفريقية مع نضال الشعب الجزائري. فالمستعمر الذي يعمد على إشعال نار الحرب في إفريقيا وقف عاجزا أمام تحقيق النصر. [4]

11 – الوحدة والتضامن من القتال شرطان لتحرير إفريقيا :

تطرق فانون في هذا الجزء من كتابه إلى اقتراب تحقيق الدول الإفريقية لسيادتها الوطنية ، فعملية إزالة الاستعمار جارية بالفعل ، كما استعرض فانون أيضا التفاؤل السائد

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الأفريقية،المصدر السابق ، ص ص 200 – 201.

[2] نفسه، ص ص 201 – 203 .

[3] نفسه، ص ص 203 – 204.

[4] نفسه، ص ص 205 – 206.

في إفريقيا الذي جاء كنتيجة مباشرة لعمل الطبقات الشعبية الإفريقية الثوري. [1] كما استعرض فانون التضامن الذي كان بين الجزائريين والأفارقة، ولقد أكد فانون بوجوب أن يكون هذا التضامن فعلي وعملي وذلك بالمعدات والأسلحة وأيضا بالرجال.[2]

كما استعرض فانون أيضا فتح الحدود الجنوبية ونقل الأسلحة إلى الجزائر من باماكو وإنشاء خطوط كبرى وقنوات ملاحة كبرى عبر الصحراء ، حيث أكد أنه كان يريد أ، يندفع إلى الأراضي الجزائرية من داخل مالي والسنغال وغانا ونيجيريا وساحل العاج أيضا .[3]

إن فانون في هذا الجزء من الكتاب تحدث عن رحلته في إنشاء الجبهة الجنوبية وأيضا تطرق إلى أهم الأحداث التي طالت هذه الرحلة.[4] كما ذكر أهم النتائج التي خرج بها هو والوفد المرافق له .[5]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص ص 230 – 232.

[2] نفسه، ص ص 233 – 234.

[3] نفسه، ص ص 239 – 240.

[4] نفسه، ص ص 240 – 244.

[5] نفسه، ص 149.

ان كتابات فرانز فانون في الثورة الجزائرية ساهمت بشكل كبير في إزالة بعض الغموض الذي ساد تلك الفترة ، فكتابه "لأجل الثورة الإفريقية "كان عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها فانون في مجلات وجرائد متعددة تناول فيها القضية الجزائرية بطرق مختلفة.

وفي كتابه "معذبو الأرض" تطرق فانون إلى الحالات النفسية التي مرت عليه أثناء عمله في مستشفى البليدة ، إضافة إلى الحالات التي شاهدها خلال فترة انضمامه للثورة الجزائرية.

أما كتابه المعنون بـ"العام الخامس للثورة الجزائرية " عالج فيها فانون الحياة الاجتماعية الجزائرية إبان الثورة التحريرية، إضافة إلى موقف المستوطنين منها.

خاتمة

خـــــــاتمة:

إن الدراسة التي قمنا بها حول "الثورة الجزائرية من خلال الكتابات الأجنبية، مؤلفات فرانز فانون 1925-1961م -نموذجا-" في الثورة الجزائرية، أتاحت لنا الإجابة على إشكالية الدراسة، حيث أن:

- ✓ فرانز فانون مثقف فرنسي من أصل مرتنيكي، أدرك حقيقة الاستعمار الذي كان يهدف للقضاء على مقومات أي بلد مستعمر.
- ✓ لاحظ في وطنه المارتنيك عواقب الاستعمار الذي جسدته فرنسا والتي أرادت منها تجريد الإنسان الأسود من حريته وكرامته، فكونت لديه الرغبة في التخلص من عقدة الرجل الأبيض من خلال معايشته للثورة الجزائرية ومشاركته فيها.
- ✓ انضمامه للثورة الجزائرية بعد استقالته من منصبه كطبيب في مستشفى البليدة "جوان فيل"، بعدما شهد على انطلاقتها، وبعدما أحس نفسه أنه جزءا لا يتجزأ منها.
- ✓ قضية التحرر الجزائرية كانت جوهر مؤلفاته، إذ تمحورت أعماله حول الاستعمار وركائزه وآثاره النفسية، وعرض فيها طريقة مقاومة الاستعمار وفكه والدعوة إلى القيام بالتحرر.
- ✓ عالج في كتابه "لأجل الثورة الإفريقية" قضايا الثورة الجزائرية والتي كانت عبارة عن مجموعة مقالات في جريدة المجاهد، والتي كان يدعو فيها إلى الوحدة الإفريقية.
- ✓ في مؤلفه "العام الخامس للثورة الجزائرية"، تطرق فيه إلى الحياة الاجتماعية إبان فترة الاحتلال الفرنسي، وانتقد فيه سياسة فرنسا التعسفية.
- ✓ في كتابه " معذبو الأرض"، عرض فيه فانون في الدرجة الأولى نفوذه ومكانته، لأنه كشف فيه عن الممارسات التعسفية للمستعمر الفرنسي بصورة خاصة، واستعرض فيه مشكلات العالم الثالث بصفة عامة، مستمدا في كتابته لهذا المؤلف من تجربته في الثورة الجزائرية.
- ✓ وصل فانون من خلال مشاركته في الثورة الجزائرية إلى ماهية فكر الإنسان الإفريقي اتجاه الاستعمار، وكذا معرفة نظرة المستعمر اتجاه الشعوب المستعمرة، فحاول إيقاظ عقول الشعب من الغفلة بالكشف عن خبايا الاستعمار.

إجمالا يمكن إحصاء تأثير مؤلفات فانون على الرأي العام الفرنسي بدءً من دراسة شخصه ومنجزاته معاً، وذلك من الجزائر التي أقام فيها فرانز كطبيب وصحفيا ومناصرا للثورة الجزائرية، بل وكان أحد الأسباب التي ساهمت في أن تصبح الجزائر مرادفا لثورات العالم الثالث.

وعلاوة على ذلك، نقول أن فانون وبعد التراكمية التي مرّ بها رأى في الثورة الجزائرية الحراك المناسب ضدّ تصرفات قوى الاستعمار فالتحق بها وعمل جاهداً ليضمن

لنفسه مكانا بين ثوار جبهة التحرير الوطني، وأضافت إليه هذه الأخيرة العديد من القناعات وجذرتها، وكشف من خلال الثورة الجزائرية العامل المشترك بينه وبين الجزائريين ليس من خلال الوضعية الجنسية، وإنما الالتقاء في صورة جديدة وقناع جديد وهو الرجل المستعمر، فسعى من خلال مؤلفاته إلى تقريب المعنى للقراء في فهم سياسة الاستعمار، ودعا إلى التحرر من قيوده سواء في بلده الأم (المارتنيك)، أو بلده الثانية (الجزائر).

وبقدر ما تقرب فرانز فانون من الثورة الجزائرية، بقدر ما احتضنته هي الأخرى لتبوأه مناصب عديدة بدءًا من: الإشراف على القسم الفرنسي في جريدة المجاهد، إلى غاية تمثيلها في المؤتمرات الإفريقية، فلقد استفادت الثورة الجزائرية من فانون من خلال فكرة الجبهة الجنوبية الجزائرية المالية، والذي وضع أهدافها ومبادئ عملها.

نقول هنا أن انخراط فانون في النضال في صفوف جبهة التحرير الوطني لم يكن من باب العثور على هوية وطنية مغلقة، وإنما انطلاقاً من التزامه بحق الأمم في تقرير مصيرها، ومن هذا المنطلق كان موقف فانون معاديا للاستعمار ورافضاً رفضا قاطعا لسياسته القمعية التعسفية.

إذن فإن فرانز فانون، قد عكس بعض مثقفي فرنسا الذين انضموا للثورة الجزائرية لتخليص شرف فرنسا الذي لطخته أعمال السياسيين والعسكريين، وكذا الآلام التي عاشها في المارتنيك من جراء الوجود الفرنسي، فوجد ضالته في الجزائر التي قال فيها المناضل الراحل "نلسون مانديلا" :« الجزائر كانت وستبقى قلعة الثوّار والأحرار والسند القوي لكل الشعوب المناضلة من أجل العدالة والحرية، ومواقفها الأصلية ترجمتها إلى إعطاء دعم وإسهام مباشر في تحرير القارة الإفريقية...وستضل كل الشعوب الإفريقية تذكر باعتزاز للجزائر دورها الرائد في تحريرها من الاستعمار ».

إن الحكمة التي مثلت عمق مسار فرانز فانون النضالي هي إجماع المفكرين وعلماء الإجماع الذين عاصروه في نظريته القائلة: "لا يكفي تحرير الأرض ولابد من تحرير العقول".

ومن بين النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا " " الثورة الجزائرية من خلال الكتابات الأجنبية مؤلفات فرانز فانون 1961/1925م – نموذجا- ""، توصلنا إلى إقصاء مناضلين كان لهم دور أساسي في تفعيل وتدعيم نشاط الثورة الجزائرية أمثال (فرانسيس جونسون، موريس أودان، ميشال عفلق وفرانز فانون)، أين ندعو زملاءنا الباحثين المقبلين على إعداد مذكرات التخرج دراسة مثل هذه المواضيع، كما نقترح عنوان مذكرة تخرج من خلال دراستنا هذه: "نضال الجزائريين في الجبهة الإفريقية من خلال الأرشيف الفرنسي"، فهو حقيقة موضوع لابد من البحث فيه، فبالنظر إلى العدد الكبير من الدراسات المختلفة

حول تاريخ الثورة الجزائرية، رغم التباين الواضح في مستواها، فإذا كان الجانب الكمي مطمئنا فإن الجانب النوعي مازال بحاجة إلى دراسة.

ملحق الوثائق

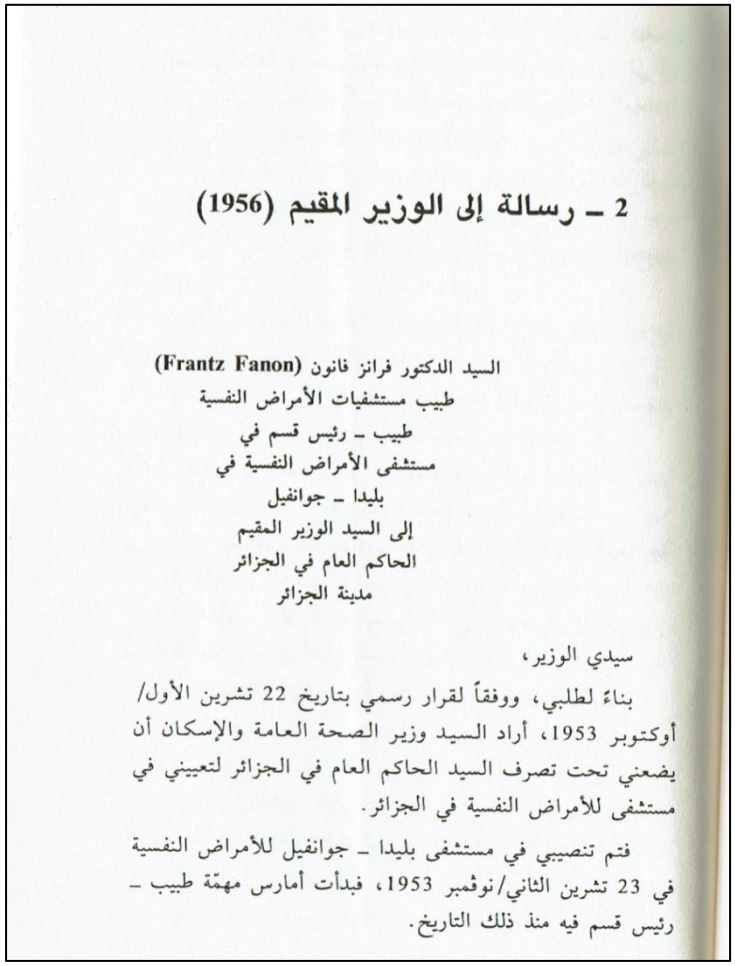

2 ـ رسالة إلى الوزير المقيم (1956)

السيد الدكتور فرانز فانون (Frantz Fanon)
طبيب مستشفيات الأمراض النفسية
طبيب ـ رئيس قسم في
مستشفى الأمراض النفسية في
بليدا ـ جوانفيل
إلى السيد الوزير المقيم
الحاكم العام في الجزائر
مدينة الجزائر

سيدي الوزير،

بناءً لطلبي، ووفقاً لقرار رسمي بتاريخ 22 تشرين الأول/ أوكتوبر 1953، أراد السيد وزير الصحة العامة والإسكان أن يضعني تحت تصرف السيد الحاكم العام في الجزائر لتعييني في مستشفى للأمراض النفسية في الجزائر.

فتم تنصيبي في مستشفى بليدا ـ جوانفيل للأمراض النفسية في 23 تشرين الثاني/نوفمبر 1953، فبدأت أمارس مهمّة طبيب ـ رئيس قسم فيه منذ ذلك التاريخ.

ملحق رقم (1)[1]

[1] فرانز فانون، لاجل الثورة الافريقية، تر: ماري وديالا طوق، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان 2007، ص 71.

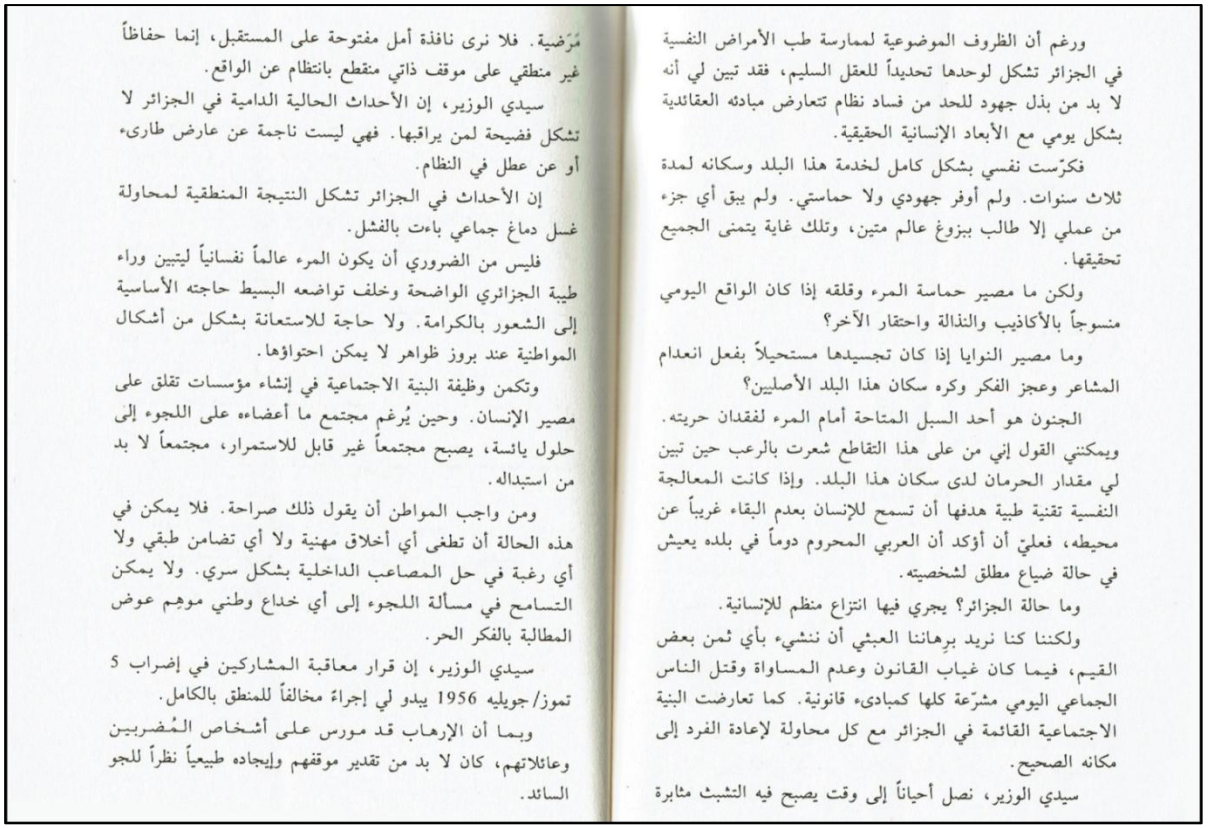

ورغم أن الظروف الموضوعية لممارسة طب الأمراض النفسية في الجزائر تشكل لوحدها تحديداً للعقل السليم، فقد تبين لي أنه لا بد من بذل جهود للحد من فساد نظام تتعارض مبادئه العقائدية بشكل يومي مع الأبعاد الإنسانية الحقيقية.

فكرّست نفسي بشكل كامل لخدمة هذا البلد وسكانه لمدة ثلاث سنوات. ولم أوفر جهودي ولا حماستي. ولم يبق أي جزء من عملي إلا طالب ببزوغ عالم متين، وتلك غاية يتمنى الجميع تحقيقها.

ولكن ما مصير حماسة المرء وقلقه إذا كان الواقع اليومي منسوجاً بالأكاذيب والنذالة واحتقار الآخر؟

وما مصير النوايا إذا كان تجسيدها مستحيلاً بفعل انعدام المشاعر وعجز الفكر وكره سكان هذا البلد الأصليين؟

الجنون هو أحد السبل المتاحة أمام المرء لفقدان حريته. ويمكنني القول إني من على هذا التقاطع شعرت بالرعب حين تبين لي مقدار الحرمان لدى سكان هذا البلد. وإذا كانت المعالجة النفسية تقنية طبية هدفها أن تسمح للإنسان بعدم البقاء غريباً عن محيطه، فعليّ أن أؤكد أن العربي المحروم دوماً في بلده يعيش في حالة ضياع مطلق لشخصيته.

وما حالة الجزائر؟ يجري فيها انتزاع منظم للإنسانية.

ولكننا كنا نريد برهاننا العبثي أن ننشيء بأي ثمن بعض القيم، فيما كان غياب القانون وعدم المساواة وقتل الناس الجماعي اليومي مشرّعة كلها كمبادىء قانونية. كما تعارضت البنية الاجتماعية القائمة في الجزائر مع كل محاولة لإعادة الفرد إلى مكانه الصحيح.

سيدي الوزير، نصل أحياناً إلى وقت يصبح فيه التشبث مثابرة مَرَضية. فلا نرى نافذة أمل مفتوحة على المستقبل، إنما حفاظاً غير منطقي على موقف ذاتي منقطع بانتظام عن الواقع.

سيدي الوزير، إن الأحداث الحالية الدامية في الجزائر لا تشكل فضيحة لمن يراقبها. فهي ليست ناجمة عن عارض طارىء أو عن عطل في النظام.

إن الأحداث في الجزائر تشكل النتيجة المنطقية لمحاولة غسل دماغ جماعي باءت بالفشل.

فليس من الضروري أن يكون المرء عالماً نفسانياً ليتبين وراء طيبة الجزائري الواضحة وخلف تواضعه البسيط حاجته الأساسية إلى الشعور بالكرامة. ولا حاجة للاستعانة بشكل من أشكال المواطنية عند بروز ظواهر لا يمكن احتواؤها.

وتكمن وظيفة البنية الاجتماعية في إنشاء مؤسسات تقلق على مصير الإنسان. وحين يُرغم مجتمع ما أعضاءه على اللجوء إلى حلول يائسة، يصبح مجتمعاً غير قابل للاستمرار، مجتمعاً لا بد من استبداله.

ومن واجب المواطن أن يقول ذلك صراحة. فلا يمكن في هذه الحالة أن تطغى أي أخلاق مهنية ولا أي تضامن طبقي ولا أي رغبة في حل المصاعب الداخلية بشكل سري. ولا يمكن التسامح في مسألة اللجوء إلى أي خداع وطني موهِم عوض المطالبة بالفكر الحر.

سيدي الوزير، إن قرار معاقبة المشاركين في إضراب 5 تموز/جويليه 1956 يبدو لي إجراءً مخالفاً للمنطق بالكامل.

وبما أن الإرهاب قد مورس على أشخاص المُضربين وعائلاتهم، كان لا بد من تقدير موقفهم وإيجاده طبيعياً نظراً للجو السائد.

ملحق رقم (02)[1]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المرجع السابق، ص ص 72-73.

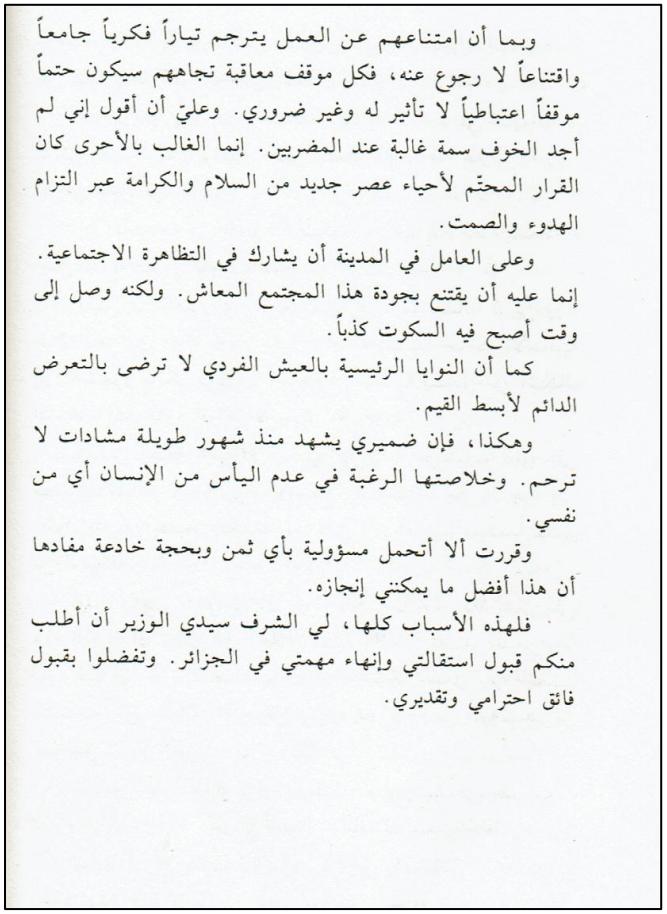

وبما أن امتناعهم عن العمل يترجم تياراً فكرياً جامعاً واقتناعاً لا رجوع عنه، فكل موقف معاقبة تجاههم سيكون حتماً موقفاً اعتباطياً لا تأثير له وغير ضروري. وعليّ أن أقول إني لم أجد الخوف سمة غالبة عند المضربين. إنما الغالب بالأحرى كان القرار المحتّم لأحياء عصر جديد من السلام والكرامة عبر التزام الهدوء والصمت.

وعلى العامل في المدينة أن يشارك في التظاهرة الاجتماعية. إنما عليه أن يقتنع بجودة هذا المجتمع المعاش. ولكنه وصل إلى وقت أصبح فيه السكوت كذباً.

كما أن النوايا الرئيسية بالعيش الفردي لا ترضى بالتعرض الدائم لأبسط القيم.

وهكذا، فإن ضميري يشهد منذ شهور طويلة مشادات لا ترحم. وخلاصتها الرغبة في عدم اليأس من الإنسان أي من نفسي.

وقررت ألا أتحمل مسؤولية بأي ثمن وبحجة خادعة مفادها أن هذا أفضل ما يمكنني إنجازه.

فلهذه الأسباب كلها، لي الشرف سيدي الوزير أن أطلب منكم قبول استقالتي وإنهاء مهمتي في الجزائر. وتفضلوا بقبول فائق احترامي وتقديري.

ملحق رقم (03)[1]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 74.

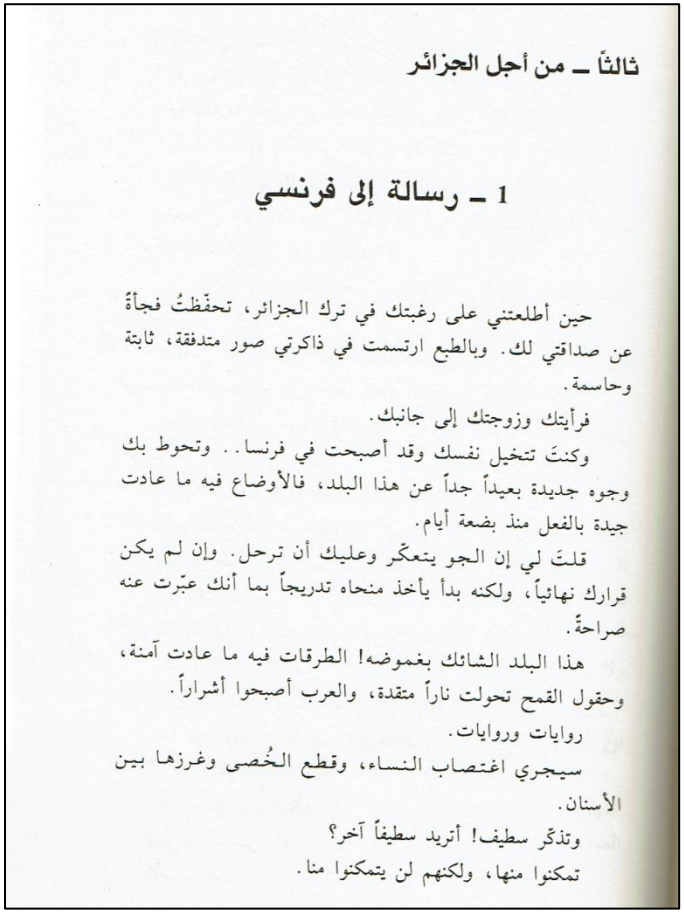

ثالثاً ـ من أجل الجزائر

1 ـ رسالة إلى فرنسي

حين أطلعتني على رغبتك في ترك الجزائر، تحفّظتُ فجأةً عن صداقتي لك. وبالطبع ارتسمت في ذاكرتي صور متدفقة، ثابتة وحاسمة.

فرأيتك وزوجتك إلى جانبك.

وكنتَ تتخيل نفسك وقد أصبحت في فرنسا.. وتحوط بك وجوه جديدة بعيداً جداً عن هذا البلد، فالأوضاع فيه ما عادت جيدة بالفعل منذ بضعة أيام.

قلتَ لي إن الجو يتعكّر وعليك أن ترحل. وإن لم يكن قرارك نهائياً، ولكنه بدأ يأخذ منحاه تدريجاً بما أنك عبّرت عنه صراحةً.

هذا البلد الشائك بغموضه! الطرقات فيه ما عادت آمنة، وحقول القمح تحولت ناراً متقدة، والعرب أصبحوا أشراراً.

روايات وروايات.

سيجري اغتصاب النساء، وقطع الخُصى وغرزها بين الأسنان.

وتذكّر سطيف! أتريد سطيفاً آخر؟

تمكنوا منها، ولكنهم لن يتمكنوا منا.

ملحق رقم (04)[1]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص65.

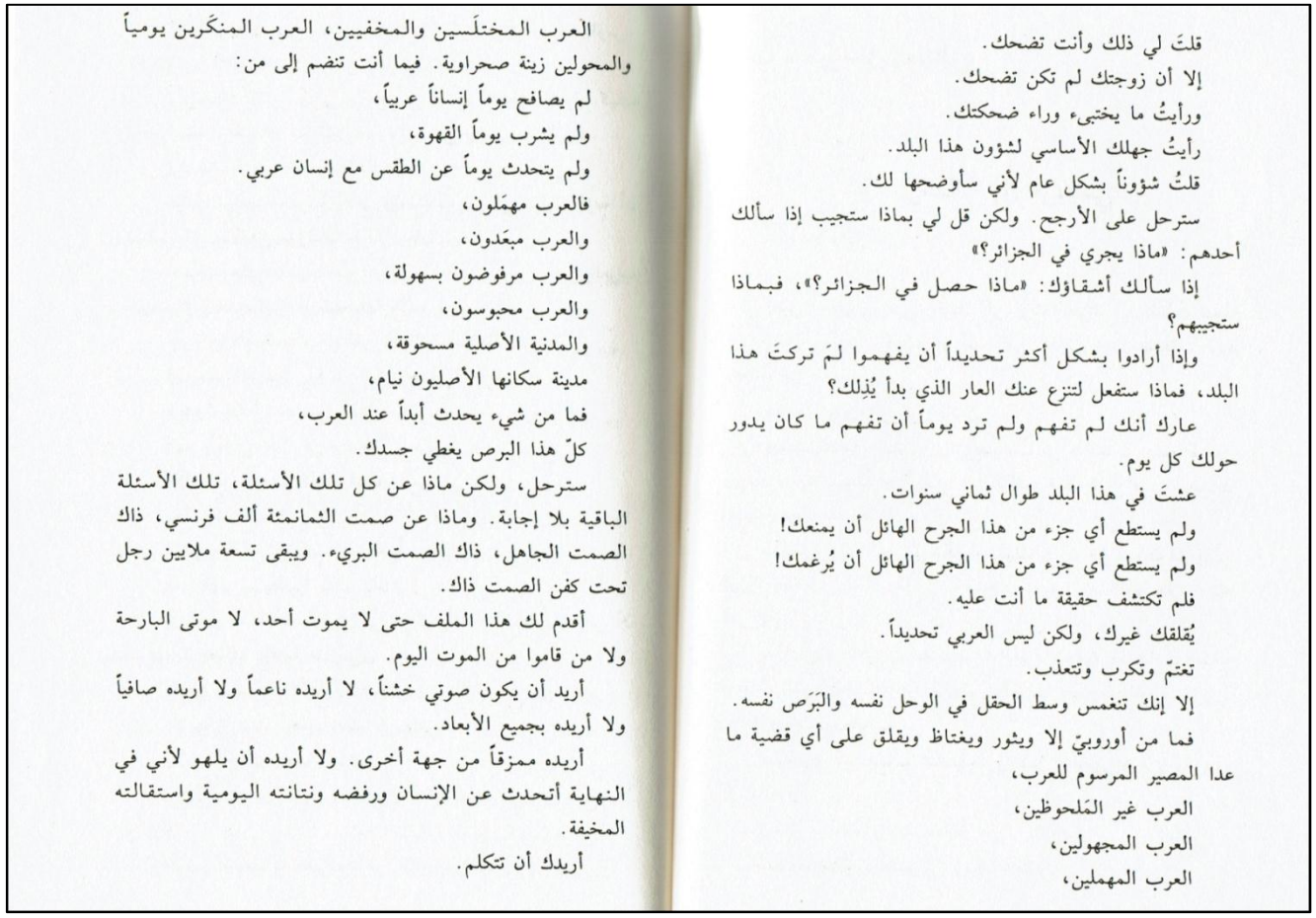

قلتَ لي ذلك وأنت تضحك.
إلا أن زوجتك لم تكن تضحك.
ورأيتُ ما يختبىء وراء ضحكتك.
رأيتُ جهلك الأساسي لشؤون هذا البلد.
قلتُ شؤوناً بشكل عام لأني سأوضحها لك.
سترحل على الأرجح. ولكن قل لي بماذا ستجيب إذا سألك أحدهم: «ماذا يجري في الجزائر؟»
إذا سألك أشقاؤك: «ماذا حصل في الجزائر؟»، فبماذا ستجيبهم؟
وإذا أرادوا بشكل أكثر تحديداً أن يفهموا لمَ تركتَ هذا البلد، فماذا ستفعل لتنزع عنك العار الذي بدأ يُذِلك؟
عارك أنك لم تفهم ولم ترد يوماً أن تفهم ما كان يدور حولك كل يوم.
عشتَ في هذا البلد طوال ثماني سنوات.
ولم يستطع أي جزء من هذا الجرح الهائل أن يمنعك!
ولم يستطع أي جزء من هذا الجرح الهائل أن يُرغمك!
فلم تكتشف حقيقة ما أنت عليه.
يُقلقك غيرك، ولكن ليس العربي تحديداً.
تغتمّ وتكرب وتتعذب.
إلا إنك تنغمس وسط الحقل في الوحل نفسه والبَرَص نفسه.
فما من أوروبيّ إلا ويثور ويغتاظ ويقلق على أي قضية ما عدا المصير المرسوم للعرب،
العرب غير المَلحوظين،
العرب المجهولين،
العرب المهملين،
العرب المختلَسين والمخفيين، العرب المنكَرين يومياً والمحولين زينة صحراوية. فيما أنت تنضم إلى من:
لم يصافح يوماً إنساناً عربياً،
ولم يشرب يوماً القهوة،
ولم يتحدث يوماً عن الطقس مع إنسان عربي.
فالعرب مهمَلون،
والعرب مبعَدون،
والعرب مرفوضون بسهولة،
والعرب محبوسون،
والمدنية الأصلية مسحوقة،
مدينة سكانها الأصليون نيام،
فما من شيء يحدث أبداً عند العرب،
كلّ هذا البرص يغطي جسدك.
سترحل، ولكن ماذا عن كل تلك الأسئلة، تلك الأسئلة الباقية بلا إجابة. وماذا عن صمت الثمانمئة ألف فرنسي، ذاك الصمت الجاهل، ذاك الصمت البريء. ويبقى تسعة ملايين رجل تحت كفن الصمت ذاك.
أقدم لك هذا الملف حتى لا يموت أحد، لا موتى البارحة ولا من قاموا من الموت اليوم.
أريد أن يكون صوتي خشناً، لا أريده ناعماً ولا أريده صافياً ولا أريده بجميع الأبعاد.
أريده ممزقاً من جهة أخرى. ولا أريده أن يلهو لأني في النهاية أتحدث عن الإنسان ورفضه ونتانته اليومية واستقالته المخيفة.
أريدك أن تتكلم.

الملحق رقم (05)[1]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص ص 66-67.

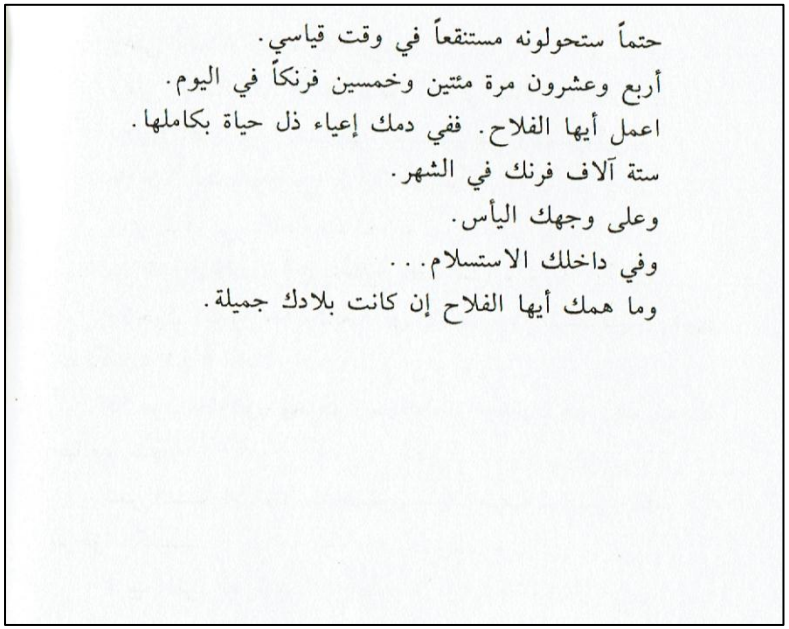
حتماً ستحولونه مستنقعاً في وقت قياسي.
أربع وعشرون مرة مئتين وخمسين فرنكاً في اليوم.
اعمل أيها الفلاح. ففي دمك إعياء ذل حياة بكاملها.
ستة آلاف فرنك في الشهر.
وعلى وجهك اليأس.
وفي داخلك الاستسلام...
وما همك أيها الفلاح إن كانت بلادك جميلة.

ملحق رقم (06)[1]

[1] فرانز فانون، لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص 68.

ملحق الصور

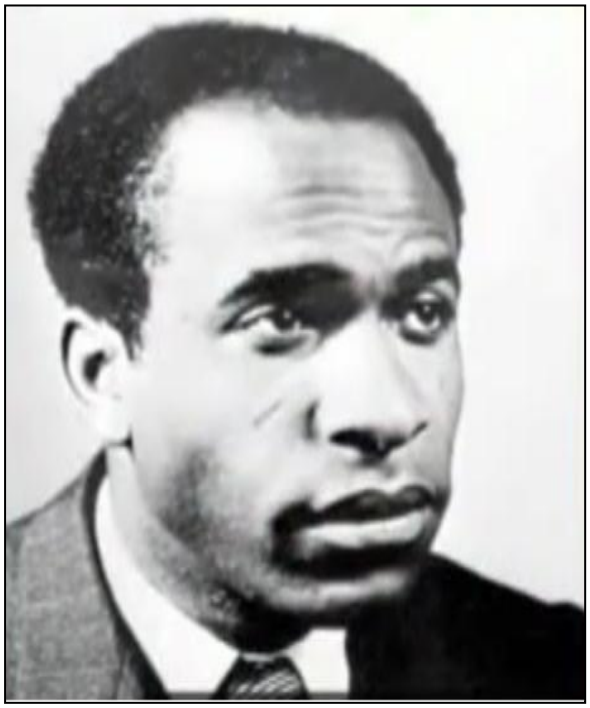

FRANTZ FANON[1]

[1] Rachid khettab, Fréres et Compagnons, Dictionnaire guerre de biographique d'Algériens d'origine européenne et juive et la libération (1954-1962), dar khettab, 2012.

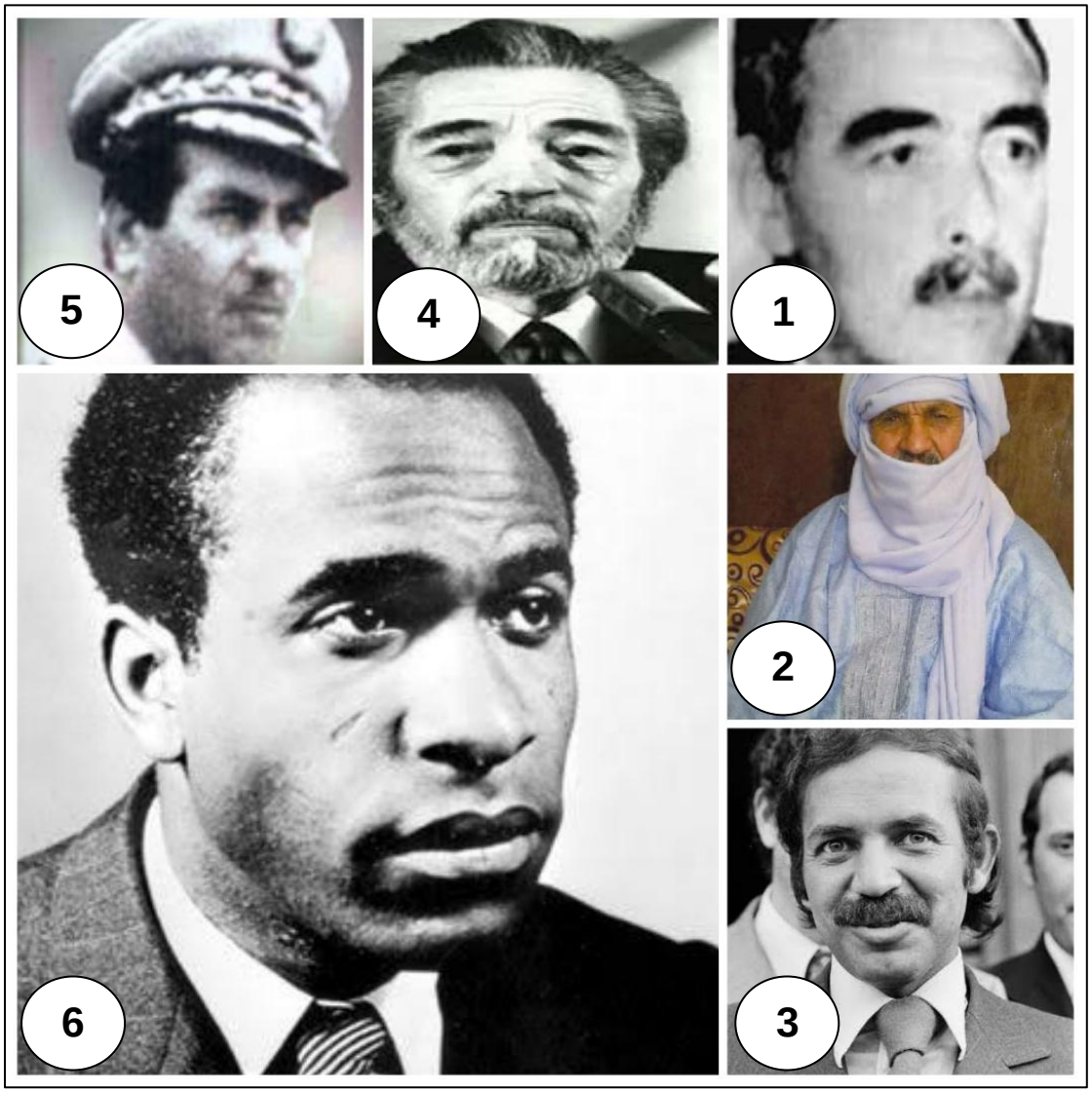

صور لبعض قادة الجبهة الجنوبية[1]

1-أحمد دراية

2-أحمد بن سبقاق

3-عبد العزيز بوتفليقة

4- الشريف مساعدية

5- عبد الله بلهوشات

6- فرانز فانون

[1] فاطمة الزهراء حوتية، ظروف تأسيس الجبهة الجنوبية للثورة الجزائرية وأبرز قادتها، م روافد للبحوث والدراسات،ع 1،جامعة غرداية، الجزائر 2016، ص 72.

الفقيد الدكتور فانون

رجل في مظهره هدوء وفي داخله غليان مستمر .

انيق اللباس ، لطيف الحركة، لكنه متواضع عن ايمان : لانه اعتنق الاشتراكية وآمن بها مصيرا افضل لكل الشعوب ، مثلما آمن بالوحدة كاضمن طريق لشعوب افريقيا مرهف الحساسية، لكنه مؤمن بضرورة العنف للقضاء على الاستعمار .. فلسفة المبادئ، التي اعتنقها الى درجة ان طبعها في حياته ، ولم يجعلها مجرد نظريات يحلو معها دون تعصب طبقها رغم ما تعرضه له من متاعب كان في غنى عنها كطبيب نفسي ناجح، وككاتب شاب لامع امامه مستقبل مل، بالاضواء والآمال ..

لكن ذلك الشاب الذي انشأته ارض المارتينيك رفض التزييف .. رفض تزييف شخصيته ورفض ان يعيش في جو مزيف .. فانوا له : انك فرنسي لان ارض المارتينيك فرنسية .. لكنه عاش في ليون وشاهد الفارق بين فرنسيته وفرنسية الآخرين لم يشاهده في مظهر البشرة المختلف ، ولكنه فيما هو اخطر ، فيما وراء البشرة من نظرات وسلوك عمل ..

هذا الرفض للتزييف ، وهذا الاختيار للطريق الاصعب : طريق الصراحة والنظرة السليمة هو الذي قاده الى الثورة الجزائرية : لانه فهم بحاسيته المرهفة ، وبتفكيره العميق ان ثورة الجزائر ليست حركة وطنية محلية ولكنها حركة تنتشر افقيا فتؤيد وتتضامن مع كل ارض بها معركة ضد الاستعمار ومع كل ترفض الاستعمار وتعتد عمودياً التجارب كل رواسب التحضيرية والتفسير الرجعي .. لذلك اراني فيها من غير تردد.. وخدمها بقلمه وفكره وساعده ان ان تحيى نفسه ، خدمها في البليدة، حيث كان مديرا لمستشفى الامراض العقلية ، يتسع مع مناضلي اجهزة في كل المهام التي تفرضها ضرورة الكفاح على مناضلي اجهزة من اعداد بالجرحى الى حمل السلاح الى ايواء القادة اثناء تنقلاتهم ، وخدمها محررا في « المقاومة الجزائرية » ثم في « المجاهد » .. وخدمها رئيسا لبعثة الحكومة الجزائرية في غانا حيث وجد مرتعا خصبا لنشاطه الفياض وعقله المتحمس بالوحدة الافريقية .. وخدمها بما خلده في كتابيه: « العام الخامس للثورة الجزائرية » و « ملاعين الارض » ..

ذلك هو الدكتور فانون في ملامحه العامة .. فانون الذي حرره التفكير الافريقي ، وفقدته الثورة .. فانون الذي توفي ولما يكتمل الاربعين مصابا بمرض اعيى علاجه .

ولنا عودة الى فانون بوصفه من حملة مشعل التفكير الثوري

جبهة التحرير تنعي الفقيد فرانز فانون[1]

[1] جريدة المجاهد،ج4،ع110، بتاريخ 11ديسمبر 1961، ص 247.

فرانز فانون لأجل الثورة الإفريقية (صورة الغلاف)

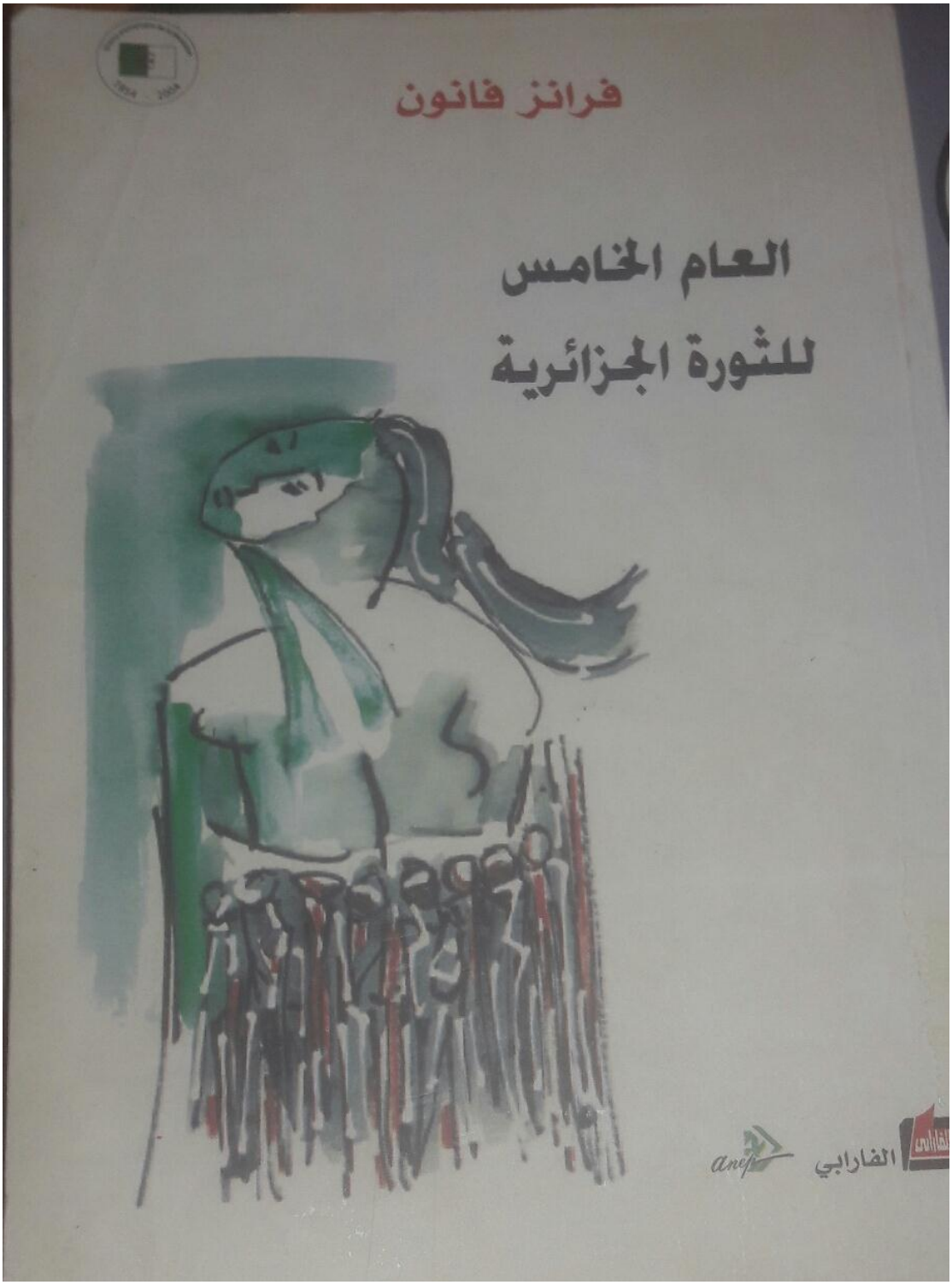

فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية (صورة الغلاف)

قائمة البيبليوغرافيا

1- المصادر:

اولا : المصادر بالعربية:

1. الميلي محمد ، فرانز فانون والثورة الجزائرية، ط، دار الكتاب العربي، بيروت
2. فانون فرانز ، "معذبو الأرض"، تر : الدكتور سامي الدروبي، د. جمال الآتاسي، مرا: عبد القادر بوزيدة، د ط، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار- وحدة الطباعة، الرويبة (الجزائر)، 2010.
3. فانون فرانز ، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر: ذوقان قرقوط، مرا: عبد القادر بوزيدة، ط 1 ، دار الغرابي منشورات آينبANEP ، لبنان 2004.
4. فانون فرانز ،"معذبو الارض"، تق: ك، شولي، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2006.
5. كوت ديفيد: " فرانز فانون" (سيرة فكرية)، تر: عدنان كيالي، تف: د. فوزي سليسلي، ط1، مدارات للابحاث والنشر، القاهرة، يناير 2017.
6. علاق هنري: "عودة الاستطان، حوار مع جبل مارتان، تر: مصطفى وليد عبد الخالق، د ط، أمدوكال للنشر، الجزائر 2013.
7. هنري علاق: "عودة الإستطان، حوار مع جبل مارتان، تر: مصطفى وليد عبد الخالق، د ط، أمدوكال للنشر، الجزائر 2013.

ثانيا: المصادر بالفرنسية:

1. Fanon Frontz, « Les domnes de la terre », Edition Haspiro, Paris 1961, P07.
2. Strikeland Wiliam, frantz fanon: his life and work, a fo American studies faculty publication series, January 1979.

ثالثا: المذكرات:

1. بن جديد الشاذلي ، "مذكرات الشاذلي بن جديد، ملامح حياة 1929 - 1979"، تحرير عبد العزيز بوبالكير، ج 1، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر 2014.

2-المعاجم والقواميس:

1. نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان 1980
2. خطاب رشيد ، – الخاوة والرّفاق " ، قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية 1954-1962)،
3. عبد الله مقلاتي، موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر 2013.
4. مقلاتي عبد الله، "الثورة الجزائرية وإفريقية صفحة دبلوماسية ناصعة"، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

3-المراجع:

اولا: المراجع بالعربية:

1. الزبيري محمد العربي ، المثقفون الجزائريون والثورة،د ط، المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر، الجزائر 1955.
2. بشيري احمد ، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط 2، دار ثالة للنشر، الجزائر 2009.
3. بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م، إلى 1989م، ج2، د ط، دار المعرفة، الجزائر 2006.
4. بن عراب عبد القادر ، "فرانز فانون، رجل القطيعة" تر: عبد السلام يخاف، ط3، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
5. بن عراب عبد القادر ، "فرانز فانون، رجل القطيعة" تر: عبد السلام يخاف، ط3، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
6. بن يوب رشيد ، دليل الجزائر السياسي، ط 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1999.
7. بورغدة رمضان ، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962، سنوات الحسم والخلاص، د ط، منشورات بونة، الجزائر 2012.

8. جغلول عبد القادر ، "فرانز فانون غموض إيديولوجية العالم الثالث"، تر: نور الدين زمام، سعيدة سبعون، د ط، دار الناس 2013.
9. حيفري عبد الحميد ، "فرانز فانون، بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته"، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007.
10. سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرحلة الثورة (1954 – 1962) ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2007.
11. سعدي بزيان، فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط1، دار نيسبان، الجزائر 2016.
12. شمص حسن ، " الثورة الجزائرية بأقلام عربية وشهد شاهد"، ط 1، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
13. عمراني عبد المجيد ، "جان بول سارتر والثورة الجزائرية"، د ط، مكتبة مدبولي، باتنة (الجزائر) د س.
14. فركوس صالح ، "تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال 'المراحل الكبرى' "، د ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2005.
15. فركوس صالح ، "تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال 'المراحل الكبرى' "، د ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2005.
16. محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، ط 1، دار هومة، الجزائر 2012 .
17. مقلاتي عبد الله ، رموم محفوظ، "الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية".

ثانيا: المراجع بالفرنسية:

1. Khettab Rachid, Fréres et Compagnons, Dictionnaire guerre de biographique d'Algériens d'origine européenne et juive et la libération (1954-1962), dar khettab, 2012.

ثالثا: الجرائد و المجلات والمقالات الإلكترونية:

1. الرزوق صالح ، "فرانز فانون والاستعمار سيكولوجيا الاضطهاد"، شهادات و مذكرات وشخصيات، صحيفة المثقف، د ع، كانون الأول (ديسمبر) 2011.
2. المعطي قبال، "كيف ساهم مؤلف «معذبو الأرض» في إشعال ثورة الجزائر"، صحيفة المساء، يوم 14-11-2011 بتاريخ 01-03-2019، الموقع : https:// .Maghress.com
3. بن حود محمد الصالح ، "القصة الكاملة للجبهة الجنوبية التي أسسها الرائد عبد القادر المالي رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة"، الشعب تنقل شهادات من مفجري الثورة بعاصمة الأهقار، د.ع، الأربعاء 17 ديسمبر 2014.
4. بن شيخ عصام ، "فرانز فانون صاحب رائعة البشرة السوداء، والأقنعة البيضاء، صيحة ثائر زنجي مناهض للاستعمار من ارض الجزائر"، دع، جانفي 2001.
5. بوضربة عمر ، تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954 – 1960م، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر 2015.
6. جاسم احمد حسين ، "فانون: المخيلة بعد – الكولونيالية-" مجلة عمران، د ع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2013.
7. جريدة المجاهد،ج4،ع110، بتاريخ 11ديسمبر 1961.
8. حوتية فاطمة الزهراء ، ظروف تأسيس الجبهة الجنوبية للثورة الجزائرية وأبرز قادتها، م روافد للبحوث والدراسات،ع 1،جامعة غرداية، الجزائر 2016.
9. قيصر علي ، "فراز فانون – Frontz Fanon – فيلسوف المعذبون في الأرض من السيرة الذاتية"، مجلة الإستغراب، ع12، لبنان 2012.
10. كديدة محمد مبارك، " دور فرانز فانون في إنشاء الجبهة الجنوبية، المنطقة الجنوبية الصحراوية في الثورة التحريرية الجزائرية (1960-1962)"، " مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 27، المركز الجامعي تمنغاست، الجزائر ديسمبر 2016.
11. متحف المجاهد في الطارف، ذاكرة حية بأكملها، الطارف 15 سبتمبر 2017.

12. هيئة التحرير، الذكرى الاربعون لاندلاع ثورة نوفمبر 1954،"الجزائر امانة الاجيال" – ط خ مجلة الثقافة، العدد 104، وزارة الثقافة، الجزائر سبتمبر – اكتوبر 1994.
13. ياسين عبد القادر حسين ، "الدكتور فرانز فانون: المفكر الأسود الذي مزق الأقنعة البيضاء"، مجلة النور، ع 26، 08 ديسمبر 2015.

رابعا:رسائل جامعية:

1. برابيع رزيقة ، "العرق والثقافة في كتابات فرانز فانون، مقاربة نقدية ثقافية"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة والادب العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015-2016.
2. شبوب محمد، اجتماع العقداء العشر: من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959م ظروفه، أسبابه، وانعكاساته على مسار الثورة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، نخصص الثورة الجزائرية 1954-1962، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار،2009-2010.
3. مجاود حسين ، "الثقافة السياسية لدى اعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، فرحات عباس – بو يوسف بو خدة نموذجا"، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قيم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي الياس، سيدي بلعباس، 2017/2016.

خامسا: الملتقيات:

1. الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الملتقى الوطني الآزل حول الإعلام المضاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر1954م، دار القصبة للنشر، الجزائر 2010.

سادسا: الاشرطة الوثائقية:

1. سايحي حدية ، أخونا إبراهيم عمر، فرانز فانون(Frantz Fanon) ، شريط وثائقي حول شخصية فرانز فانون، شهادة المفكر والمؤرخ شارل جيرون زيارة الموقع على اليوتوب.https://youtube.com
2. سلطاني صادق ، صديق فرانز فانون من ولاية الطارف في تقرير عرض على قناة النهار الجزائرية (النشرة الإخبارية بتاريخ 2019/02/01.

فهرس المحتوى

الموضـــوع	الصفحة
الملخص	
شكر وعرفان	
اهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	ب
الفصل التمهيدي: فرانز فانون النشأة والتكوين.	8
المبحث الأول: مولده ونشأته.	9
المبحث الثاني: تكوينه ودراسته وأهم مؤلفاته.	12
المبحث الثالث: مرضه ووفاته.	19
الفصل الأول: فرانز فانون ونضاله الثوري.	28
المبحث الأول: تعيينه في مستشفى البليدة.	29
المبحث الثاني: انضمامه للثورة الجزائرية وعمله الديبلوماسي.	35
المبحث الثالث: جهوده في تشكيل الجبهة الجنوبية.	40
الفصل الثاني: فرانز فانون كاتب ومؤرخ الثورة الجزائرية.	47
المبحث الأول: لأجل الثورة الإفريقية.	48
المبحث الثاني: العام الخامس للثورة الجزائرية.	58
المبحث الثالث: معذبو الأرض.	71
خاتمة.	85
ملاحق الوثائق	88
ملاحق الصور	95
قائمة البيبليوغرافيا.	102
فهرس المحتوى.	109